المملكة العربية السعودية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
الدراسات العليا
المعهد العالي للدعوة الاسلامية

الخطر الشيوعي
في بلاد الإسلام

تأليـــف
الدكتــور محمد شامـــــة

أعد هذا البحث للمؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة واعداد الدعاه ، الـــذى سيعقد في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، في الفترة من ٢٤ الـــى ٢٩ صفـر ١٣٩٧ هـ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى
اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ
عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن
يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . "

صدق الله العظيم

الاهـــــــداء

الـــى أرواح الشهـــداء الذيـــن سقطوا فـــى الميـــدان بأيدى الماركســـيين ، وأعوانهـم الذيـــن اغتصبوا الحكم فى العالـــم الاســـلامى .

محمد شامة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

عندما اتسعت الفتوحات الاسلامية ، ورفرفت راية الاسلام على مملكتى كسرى وقيصر دخل الناس فى دين الله أفواجا ، يحملون معهم أفكارهم وعقائدهـــم السابقة ، لأنهم لم يعيشوا قبل الاسلام فى فراغ عقلى ، فقد كان لهم تــــراث دينى ـ أيا كانت قيمته فى نظــر الاســلام ـ وأفكار فلسفية حول طبيعـــــة الوجود ، لا تتفق مع تعاليم الاسلام .

لم تختف هذه الأفكار الدينية والفلسفية عقب الفتح مباشرة ـ ولو حـــدث لكان ذلك نقضا لسنة التطور والتحول الفكرى فى المجتمعات الانسانية ـ ، بـــل كانت وقودا للمعارك الفكرية التى اشتعلت فى المجتمع الاسلامى ، وظلـــت نارها متأججة شرقا وغربا عدة قــرون ، مما دفع كثيرا من العلماء آنذاك الى دراسة الفكر الأجنبى واستيعابه ، ليكونوا أقدر على الدفاع عن الاسلام ضـــد هذا الفكر الدخيل ، اذ كلما ازدادت معرفة العالم بما عند الخصم مـــن أفكار وحجج وبراهين ، كلما كان دفاعه مقبولا عقليا ونفسيا واجتماعيا ؛ فالغزالى ـ على سبيل المثال ـ لم يكن ليستطيع أن يكتب تهافت الفلاسفــــة ـ وهو كتاب له وزنه فى الأوساط الفكرية ـ لولم يدرس الفلسفة دراسة فهـــم واستيعاب واحاطة .

فالصراع الفكرى هو احدى ظواهر المجتمع الانسانى ، وعامل من عوامـــل تقدمه ورقيه ، لو اتجه وجهة بناءة ، ولم ينحرف الى حافة التدمير والتخريب .

ولا يخلو منه مجتمــع بشرى ، لأنه عصب وجوده ، والقلب الذى يدفع بـــدم الحياة فى شرايينه ، ولذا ينبغى ألا يقابل بالاستنكار والوعيد بكبته ، والقضاء على من يحمل رايته ، بل بمحاولة فهم آراء المخالفين والرد عليها بهدوء ، وتبصــير من خدع بالشعارات البراقة ، والعبارات الرنانه ، والأخذ بيدهـــم الى الطريق المستقيم .

تختلف طبيعة الصراع الفكرى موضوعا وأسلوبا من عصر لآخر فهى :

- تتلون تبعا لمنابع الثقافة ،
- وتتشكل تحت تأثير تيارات الفكر الأجنبى ،
- وتهدأ أو تثور ـ الى درجة التطاحـــن ـ نتيجة لعوامل سياسية واجتماعية .

ومن لم يدرك هذه الطبيعة ، فلن يستطيع القيام بمهمة الداعية ، الذى يتصدى للفكر الدخيل ، فيبين جوانبه السلبيه ، وآثاره المدمرة فى المجتمع ، لانــه اذا لم يقف على دقائقه عجز عن مقاومته .

ولهذا رأيت - حين طلب منى أن أكتب بحثا عن " الخطر الشيوعى فــى فى بلاد الاسلام وكيفية مقاومته " للمؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة الذى سيعقد فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة فى المدة من ٢٤ الــى ٢٦ صفر ١٣٩٧ هـ - أن أبين من الناحية النظرية :

- منابع فلسفة " ماركس"

- وطبيعة هذه الفلسفة .

ومن الناحية التطبيقيــة :

- التناقض بين الدعاية الشيوعية ، وطبيعة النظام الماركسى فى البلادالشيوعية .

- أساليب ومناورات الاتحاد السوفييتى - بوصفه زعيم المعسكر الشيوعيى - فــى العالم الاسلامى مع الحكومات ، وبين صفوف الجماهير .

والله أسأل أن يوفقنا ويهدينــا سواء السبيل .

محمد عبد الغنى شامة

الرياض فى ٢٧ من ذى الحجة ١٣٩٦ هـ
١٨ من ديسمــبر ١٩٧٦ م

تمهيــــــد

يمتد تاريخ الالحاد في المجتمعات البشرية رأسيا وأفقيا ؛ فمنذ أن بــــدأ الانسان يفكــر فيمــا حوله من مظاهر الطبيعة ، كان الالحاد أحد الامكانــات العقلية ، التي تبناها حين أراد أن يفســر أســرار الكون ، ولم يقتصر هـــذا التصور - تجاه الكون - على طبقة معينة من طبقات المجتمعات الانسانية، اذ ظهــر الالحاد عند الانسان البسيط ، الذي لم ينل حظا وافــرا من الثقافة ، كمـــا اعتنقه فريق من كبار الفلاسفة والمفكريـن فــي كل عصر وجيــل .

لا يخلو عصر أو مجتمع من وجود ملحدين - سواء كانوا مفكرين لوجــود الله أو مشركين معه فــي العبــادة إلـــها غيره - تنكروا للفطرة التي فطر اللـــه الناس عليها ، فأنكروا وجــود الله أو أشركوا معه إلــها غيره ، إلا أن هــذا التيار الالحادي لم يأخـــذ شكل ظاهرة اجتماعية في أي مجتمع الا في الفــترات التي يتعرض لها المجتمع لتيارات أخرى ، تضعف الوازع الديني عند الناس ، وتخلخل الاعتقاد في الله الواحد ، فيقع الأفراد - زرافات ووحدانا - صرعى السموم التي يبثها الملحدون - وهم قلـــة - في المجتمع ، مستخدمين في ذلك الامكانات المادية والبشرية التي سيطروا عليهــا في لحظة غفل فيها أرباب التوحيـــد عن القيــام بما يجب عليهم نحو ربهم ومجتمعهم ، الذي يؤمــن بالله الواحد القهار .

عندمــا يصبح الالحاد ظاهرة اجتماعية ، ويطغى صفير الملحدين على صوت المؤمنين في المجتمع ، وتشتــد الوطأة على من يتمسك بعقيدة الايمان باللـــه ، ويختلط الأمــر على أصحاب العقول ، فيحسبون أن الأرض وما عليها ومن عليهــــا ستظل في قبضة زعماء الالحاد ، ومن يدور في فلكهم من المنافقين المرجفين فــي جنبات المجتمع ، والدجالين أصحاب المنافع المادية ، الذين رضوا بالحياة الدنيا وما فيها من متاع وشهوات ، فباعوا دينهم بثمن بخس ، عند ئذ يرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليطمئن المستضعفين المتمسكين بدينهم أن الله لن يضيـــع جهادهم في سبيله ، ويبين للحيارى الطريق المستقيم ، ويدعو أرباب الكفر الى الاقلاع عن غيهم وفسادهم ، والانضمام الى فريق الايمان الذي يعبد الله وحده .

كان من الطبيعي أن يشتد الجدل بين رسل الله وبين الملحدين ، لأنهـم رأوا أن هذه الدعوة خطر على ملكهم وجاههم ، وأنها ستضع حدا لاستغلالهـــم ، إذ تحرم عليهم أكل أموال الناس بالباطل ، وتسوى بينهم وبين الآخرين فــي

((قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ .))

وقــوله : -

((وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ .))

وقــوله : -

((وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ .))

وقــوله : -

((زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ .))

وقــوله : -

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ . . . .))

الى غير ذلك من الآيات التى توضح أن الالحاد شغل حيزا كبيرا فى الفكر البشرى ، وأنه كان من أخطر الامراض الاجتماعية ، التى أرسلت الرسل لمعالجتها واستئصالها ، وأنفقوا معظم وقتهم فى الجهاد من أجل القضاء عليه لاستئصاله ،أو إضعافه بحيث لا يكون ظاهرة اجتماعية تهدد كيان المجتمع القائم على الايمان بالله .

انقطع خبر السماء بعد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم يعد يرسل الله رسولا أو ينزل كتابا ، فمحمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الانبياء ، ولن يأتى نبى بعده ، والقرآن هو آخر كتاب ينزل من عند الله ، وقد حفظه الله من الضياع أو النسيان ((إنا نحن نزّلنا الذّكر وإنا له لحافظون .))

فاذا ظهر الالحاد فى المجتمع ،وأصبح ظاهرة اجتماعية ، فلا يجوز لنا - نحن المسلمين - أن نتقاعس عن محاربته والقضاء عليه بحجة أن الله سيتولى ذلك بارسال رسول مؤيد بمعجزات كما حدث قبل الاسلام ... لا لن يحدث هذا ،لأن دستوره بين أيدينا ، فهو سلاحنا الذى نحمله فى جهادنا ضد التيار الالحادى ، فعلينا

كيف ذلك .. هذا هو ما سنبنيه في هذا البحث ....

طبية الالحاد في العصر الحديث

للالحاد تاريخ طويل حافل ، وله صور كثيرة متنوعة ، غير أن أوسع معنى يعزى اليه هو أنه انكار للتصور السائد عن الله ، أو عن المعتقدات الدينية ، ولما كان هذا التصور يمكن أن ينتقل من عصر الى آخر ، لم يكن من المستبعد أن يختلف معنى الالحاد باختلاف العصور ، فأحيانا يتأثر المنكر خفية بادراكه أن النظرة الشائعة عن الله غير جديرة بالدلاله على أعلى قيمة ، أو بأنها لا تتفق واحساسه بالكرامة الانسانية ، ولا يختلف هذا الموقف كثيرا عن دعوة من يرتدون رداء الاصلاح الديني ، الذين يريدون تصحيح تصور الفكرة الدينية باستبعاد ما أدخل عليها من نظرة مضللة عن الله وتنقية العبادات من التبدع والضلالات . غير أنه أطلق على هذا التيار الحاد أيضا ، فقد أطلقت كلمة ((ملحد)) على ((انكساجوراس)) لأنه انتقد الفكرة الدينية اليونانية عن الآلهة ، وأطلقت أيضا على تلاميذ المسيح عليه السلام لأنهم أنكروا تعدد الآلهة عند الوثنيين ، وعلى (اسبينوزا) الذى ربط بين الله والعلم على نحو مخالف للفكرة الدينية التقليدية ، غير أن استخدام هذه الكلمة لم يكن مناسبا في مثل هذه المواقف ، لأنها تتعلق بمسألة النزاع بين التصورات المختلفة عن الله ولا تنطوى على انكار تام للآلهة ، الا أن القرن التاسع عشر شهد مولد مذهب في الالحاد ، مذهب كامل التكوين ، يرمى الى استبعاد الله بلا قيد ولا شرط من معتقداتنا .

وكان من النادر - فيما سبق من عصور - أن يعتنق الالحاد علانية مفكرون بارزون ، اذ كان ينظر اليه على أنه موقف هدام . أما في خلال الفترة التى أعقبت الفيلسوف الألماني ((هيجل)) فقد اعتنقه جهارا عدد من زعماء الفكر الذين أضفوا عليه نوعا من التوقير الذهني ، بل من التداول الشعبي أيضا ، وقد نجحوا في هذا بأن ربطوا بين الالحاد وبين بعض الاتجاهات الرئيسية في الحياة العلمية والثقافية والاخلاقية ، وبدلا من أن يقف الالحاد موقفا سلبيا عقيما ، أضحى مقوما من مقومات الاتجاه العلمي الانساني في المجتمع الحديث . ومن الجلي أن مثل هذا الانقلاب في الأوضاع لم يكن من صنع حفنة قليلة من الفلاسفة ، بل أننا لنجد داخل التراث الفلسفي نفسه تمهيدات طويلة المدى للالحاد في بعض جوانب مذهب الشك وعصر التنوير وغيرهما من التيارات ، وكانت هناك ظروف مشجعة قوية في المجالات العلمية والثقافية والاجتماعية .

الصراع بين العقل والدين :

أنسابت روح العقلية الاسلامية في وديان أوروبا من جهتين ، من الاندلس حيث قامت دولة اسلامية على أرض أوربية ، فاتصل المسلمون بسكان المناطق الأوروبية الأخرى اتصالا مباشرا ، ومن فلسطين عن طريق الصليبيين الذين جاءوا الى الشرق غازين ، فارتدوا على أعقابهم ، وليس معهم سوى البذرة التى أنبتت الثورة على تعاليم الكنيسة الكاثوليكية التى كانت تعتبر :

- ان البابا وأعضاء مجلسه من الطبقة الروحية الكبرى هم المصدر الوحيد للمعرفة .

- وأن الاعتراف بالخطأ ، وصكوك الغفران من رسوم العبادة المسيحية .

ثار العقل الأوروبى على هذه التعاليم ، فانطلق يبحث عن مصدر آخر للمعرفة ، ولكنه لم يهتد الى مصدر له خاصية الثبوت والدوام ، كذلك لم يستطع المفكرون المسلمون آنذاك - فى القرن السادس عشر الميلادى وما بعده - أن يقدموا له عونا فكريا ينفعه ، ويأخذ بيده ليوصله الى هدفه دون التخبط فى ظلمات سراديب الضلالات البشرية ، لأن المجتمع الاسلامى كان يمر فى ذلك الوقت بمرحلة الضعف ، فكان عاجزا فكريا عن القيام بهذا العمل .

لم يهتد العقل الأوروبى الى مصدر آخر للمعرفة ، فظل يتخبط متنقلا من مصدر الى آخر دائرا حول ما عرفته البشرية فى تاريخها الفكرى من مصادر اختلفت الآراء فيها ، تلك المصادر هى :

- الدين
- العقل
- الحس أو الواقع

فعندما بدأ ظهور الثمار الفكرية - للحروب الصليبية ، ظهرت حركات فكرية تعارض الكنيسة ، فثار ((مارتن لوثر)) على تعاليم البابا ، والكنيسة الكاثوليكية فحارب صكوك الغفران ، وانتقد فهم الكنيسة لكثير من المسائل العقدية ، فطالب بالحرية فى تفسير الكتاب ، وجعل الكتاب المقدس نفسه هو مصدر الحقيقة .

تعرضت الكنيسة للجدل الفكرى بعد حركة ((لوتر)) وأصبحت المسيحية موضوع نقاش بين المذاهب الفلسفية ، ولكن ليست المسيحية كدين ، بل مسيحية الكنيسة الكاثوليكية ، ولهذا كان الدين هو موضوع الصراع العقلى الأوروبى ، وأصبح البحث عن مصدر المعرفة هو المسألة الأولى فى الفكر الفلسفى .

سيادة العقل :

كانت التعاليم الدينية - وهى تعاليم الكنيسة الكاثوليكية - سائدة فى العصور الوسطى فى مجال توجيه الانسان فى كل ميادين الحياة ، سلوكا ، وفهما للطبيعة حتى القرن الخامس عشر حين قام ((لوتر)) بحركته ، وبعد ذلك تعرضت هذه التعاليم للجدل والنقاش ، غير أن الوحى ظل يعتبر كمرجع أخير للمعرفة ، على

بدأ ما يسمى ((عصر التنوير)) فى تاريخ الفلسفة الأوروبية، وهو عصر له طابع خاص ، فهو يتميز عن العصور السابقة ، ويختلف عما تلاه ، فله طابعه المشترك فى الفكر الألمانى والانجليزى والفرنسى ، وأشتهر من فلاسفة هذا العصر :

فى ألمانيا : كريستيان وولف
و ((لسنج

وفى فرنسا : ((فولتير)) و (بابل)
و (لامترى)

أما الطابع الفكرى الذى تميز به ، فهو وجوب سيادة العقل - كمصدر للمعرفة على غيره ،

وغيره الذى ينازعه ((السيادة)) فى ذلك الوقت هو : الدين ، أى المسيحية الكاثوليكية .

نشأت فى عصر التنوير خصومة فكرية بين الدين والعقل ، وكان الاتجاه الفكرى يميل الى اخضاع الدين للعقل ، ولهذا أطلق على هذه الفترة فترة سيادة العقل ، مقابلة للفترة السابقة فترة سيادة الدين .

وليس معنى هذا أن الفترتين منفصلتين تمام الانفصال ؛ فلم تخل فترة سيادة الدين من مفكرين وقفوا بجانب العقل كذلك لم تخل فترة سيادة العقل من أنصار للدين فنرى مثلا ((بلانس)) ينقد سيادة العقل كمصدر وحيد للمعرفة ، ويذكر :

((أن فلسفة التنوير)) أخطأت عندما قصدت الى أن العقل - وحده ومن نفسه - يمكن أن يوجد ((الحقيقة)) وينظم الجماعة .... وأخطأت كذلك عندما أرادت أن تقيم صورة العلاقة المشتركة بين الأفراد على ما بينهم من ... رباط اللغة ، والدين

ويستطرد (بلانس) فيذكر أن :

(كل حياة عقلية للانسان هى حصيلة للتقاليد الاجتماعية ، واللغة بالذات ... فاللغة هى وحى الله للانسان ، و (الكلمة الالهية) هى مصدر الحقيقة) ... والمعرفة الانسانية هى دائما قسم من هذه الحقيقة الالهية .... وتسمو من الضمير الذى بداخلها ، والذى يجعل للعالم اعتبارا خاصا بأنفسنا . و " الكنيسة " هى حاملة " الكلمة الالهية " فتعاليمها هى " العقل العام " الذى هو منحة من الله ، والتى تشبه شجرة نمت على مر الزمن ، ونضجت بها كل المعارف الانسانية الخالصة من الزيف . ولهذا يمكن أن يعتبر " الوحى " وحده أساسا " للجماعة " ونظامها ، كما يعتبر أساسا " للمعرفة " و " الحقيقة " معا .)

كان الصراع فى هذه الفترة صراعا بين العقل والكنيسة ، لا بين العقل والدين بمعناه العام ، ومن الأسباب الرئيسية التى ساعدت على ظهور هذا الصراع ، موقف الكنيسة من الحياة الأوروبية ، سواء فى مجال التوجيه والبحث أو فى مجال السياسة ، أو فى نطاق العقيدة . ومما زاد فى أواره أسلوب رجال الدين - والمدافعين عن العقيدة من الفلاسفة - فى مجال البحث والدراسة فى الجامعات ، ذلك الأسلوب الذى بعد عن الواقع ، وحصر نفسه فى مناقشات ، ومماحكات لغوية . ويعترف الكاردينال " نيقولا [redacted] كوسا " - وهو أحد فلاسفة الكنيسة - بذلك ، فهو يرى أن الفلسفات وعلوم اللاهوت السائدة فى الجامعات - فى ذلك الوقت - قد فقدت اتصالها بالعالم الواقعى ، واستبدلت بالبحث عن الحقيقة شقشقة لفظية حاذقة .

لا نريد أن نخوض فى الأبحاث الفلسفية ، التى امتدت من القرن الرابع عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادى ، ابتداء من مذهب الشك - الذى ظهرت

للاستطراد ، لأن غرضنا الوصول الى جذور الشيوعية ، من أقرب طريق ، يعطينا صورة متكاملة عن منابع ذلك المذهب الالحادى .

ولذا سنتناول آراء الفلاسفة الذين خاضوا حلبة الصراع بين العقل والكنيسة وكانت لآرائهم صلة بمبدأ " ماركس " فى دعوته للشيوعية .

ظهر مبدأ النقيض فى الفلسفة الالمانية ، واعتبر من المبادئ الضرورية الذى لا يقبل الرفع ، لأن الفلاسفة الألمانيين رأوا أنه يتبع طبيعة العقل فهو خاصة من خواصه ، ومن أجل هذا كان العقل حقيقيا ، ثم بالتالى كان المبدأ نفسه حقيقيا .

استخدم هذا المبدأ " نيتشة " و " هيجل " و " فويرباخ " ثم اعتمد عليه " ماركس " فى حتميته التاريخية . وسنعرض ملخصا لتصور هؤلاء الفلاسفة " لمبدأ النقيض " ثم نبين كيفية استخدام " ماركس " له فى فلسفته الشيوعية .

فيشتــه

يرى فيشته فى استخدامه لمبدأ النقيض أن الانسان اذا تصور نفسه .. أى اذا " أنا " تصورت " أنا " نشأ عنه أن " أنا " هو " أنا " .

ونشأ عنه أيضا : ما " ليس أنا " غير " أنا " .

ـ فهنا : " أنا " وهنا أيضا " ليس أنا " .

ـ ولكن وجود " ليس أنا " منطو فى الوجود الحقيقى لـ " أنا " .

ـ وان " أنا " باعتبار أنه ينطوى فى ذاته وجود " ليس أنا " هو جامع للشئ ومقابله .

ويستلزم منطق " مبدأ النقيض " على هذا النحو أن :

العقل مستقل تماما عن غيره ، وموجود من أجل نفسه ، ووجوده هو وجوده هو ، لا وجود غيره .

مغاير له ... اذ لو توقفت ماهية العقل على غيره الخارجى عنه ، لكان معناه أن "ليس أنا" هو نقطة البداية ، وفى ذلك الغاء ل "أنا" ، فتوقف العقل فى توضيح ذاته على غيره ، دون توقفه على ذاته ، نفى للعقل نفسه ، قبل أن أن يصل الى غيره ، لأنه لا معنى لوجود "ليس أنا" الا نفى وجود "أنا" ، أى نفى العقل نفسه

كما أن منطق هذا المبدأ - على نحو ما يستخدم فى " تصور الانسان لنفسه " - لا يجعل ادراك عالم الأشياء من انتاج قوة التصور والفكر لدى الانسان فحسب ... بل يؤكد حرية الانسان فى هذا الادراك ، كما يؤكد حريته فى العمل على العموم . ويؤكد بالتالى أنه غير مجبر لغيره ، ولا مضطر فى عمله ، اذ هذه الحرية من تفكير الانسان لا يحددها الشئ الخارج عنه ؛ هى من العقل الذى يحدد غيره ، وهو الشئ الخارج عنه .

وبهذا وصل فيشته الى :-

- استقلال العقل فى الوجود عن الجسم ، أو أى كائن آخر ، والى سيادته على نفسه ، وعلى غيره ، وهو العالم الخارجى عنه .
- ثم الى حرية الانسان فى العمل حرية تامة ، لا يشوبها شبه تحديد من غير الانسان نفسه .
- وأخيرا الى تبعية عالم الأشياء فى تصوره الى العقل .

هيجل :

أشتغل " هيجل " بالقضايا الفلسفية التى ورثها عن أسلافه الألمان ، فتصور أن العالم الحديث يعانى من اغتراب ذى شعب ثلاث : اجتماعى ، ودينى وفلسفى - واتضح له أن أساس المتاعب يكمن فى فكرة غير متآلفة عن الله ؛ فـ (يصف المفهوم اليهودى) بأنه موضوعى تماما ، ويعنى بذلك أنه مفهوم يجعل

عند القطبين المتعارضين للعالم . وهذا الدين يعلن أن الانسان لا قيمة له في حد ذاته ، وأنه لا يستحق أن تقوم بينه وبين الله الا علاقة عبودية خارجية ... ويصور البطارقة اليهود بأنهم جسدوا مثلهم الأعلى في السيطرة الطبيعية في كائن لا متناه ، وان يكن واقعيا وجزئيا ، هو الله الذي يتحكم في العالم وبخضوع الانسان لهذا " الموضوع الذي في الأعالي " يضمن لنفسه سيطرة غير مباشرة على القوى الطبيعية ."

كما انتقد " هيجل" المسيح نفسه ، والكنيسة المسيحية لاصرارهما على شخصيته - أي الله - الالهية الفريدة ، وعلى ملكوته بوصفه مجتمعا منعزلا عن العالم .

ثم يعرف الدين " بأنه سمو الانسان بنفسه من الحياة المتناهية الى الحياة اللامتناهية ، وبأنه طموح الانسان للعلو على نفسه لكي يصبح الـهيا ، ويرى أن الحياة اللامتناهية من حيث طبيعتها لا تفترق عن الحياة المتناهية ، وانما تشتمل على هذه الحياة في داخلها ، فهي الكل المطلق الحي الذي يحتوي في داخل ذاته على كل الاضداد ، بين المتناهي واللامتناهي ، الجماد والحي ، الموضوع والذات ، الفكر والواقع .)

لم ينكر (هيجل) وجود الله وان أطلق عليه (المطلق) ولم ينكر مبدأ الوحي كمصدر أخير (للحقيقة) ، وانما أنكر التصورات التي تضع حدا فاصلا بين الله والانسان .

نظم ((هيجل)) فلسفته حول نظريته في ((المطلق)) بوصفه روحا ، وقد أعطى لكلمته ((روح))معنى مذهبيا متميزا ، ودافع عن تطبيقها على المطلق ، فاستدل في ذلك ((مبدأ النفي)) ؛ فقد تصور في مجال الفكر أن هناك فترة مطلقة أسماها ((العقل المطلق)) ، ولهذا " العقل المطلق "وجود ذاتي

محددة ومتفرقة ، بينما " العقل المطلق " واحد وحدة مطلقة عن كل قيد .

وبوجود ((الطبيعة)) ظهرت - أو انتقلت - ((الفكرة)) التى فى " العقل المطلق " غير المحدد ، فيما وجوده مقيد محدد . فالطبيعة هى خروج ((الفكرة)) من دائرتها الأولى ، ومن أجل ذلك كانت ضرورة وصدفة ، وليس فيها حرية واختيار . وتعتبر لهذا مقابلا ونقيضا للفكرة فى " العقل المطلق "

- واذا كان " العقل المطلق " دعوى ،

- " فالطبيعة " عندئذ مقابل الدعوى ،

والفكرة انتقلت بذلك من المطلق الى المقيد ، أو من النقيض الى نقيضه

واذن فالفكرة من حيث هى فكرة ، انطوت على نقيضها حتى الآن ، ولكن الفكرة فى " الطبيعة " تسعى من جديد لتكسب الوحدة الأولى - التى كانت فى العقل المطلق - بعد أن افتقدتها فى تفرق الكائنات فيها ، وتسعى لتحصيلها ثانية ، وتحصيلها عندئذ هو " العقل المجرد "

" فالعقل المجرد " هو نهاية الطبيعة المحدودة وغايتها ، وهو عندئذ جامع الدعوى ، ومقابل الدعوى .

" فالفكرة " - فى نظر هيجل - انتقلت من ذاتها كـ " عقل مطلق " الى نقيضها وهو " الطبيعة " كـ " عقل مقيد " ، ثم انتقلت من النقيض الى جامع يلتقى فيه الشئ ونقيضه ، وهو " العقل المجرد "

و " العقل المجرد " - الذى هو جامع الدعوى ومقابل الدعوى - هو العقل فى صورة اتصال العالم بعضه ببعض ، سواء ما يأخذ منه طريقه الى الظهور ، أو ما يظهر منها بالفعل ، وهذا العقل يتمثل فى القانون ، والاخلاق ، وفى الفن ، والدين ، والدولة ، والجماعة ، والفلسفة .

واذن " العقل المجرد " الذى يتحقق فى أى واحد من هذه القيم العامة المذكورة

- وللفكرة فى العقل المقيد ،وهو " الطبيعة .

ذلك أنه ليس له اطلاق " العقل المطلق " ، ولا تحديد " عقل الطبيعة " ، بل فيه اطلاق بالنسبة الى الطبيعة ،وتقييد بالنسبة للعقل المطلق ، ولذا يعتبر جامع الدعوى ، ومقابل الدعوى .

ففكرة الألوهية ظهرت وتجلت فى الطبيعة المفرقة المحددة ، واجتمعت من جديد فى" العقل المجرد" .

وبقدر ما تبعد الطبيعة عن الله ، يقترب " العقل المجرد " منه ، و " العقل المجرد " اذن يمثل الله أكثر مما تمثله " الطبيعة . وهو بمثابة نوع للعقول الفردية المنثورة فى الطبيعة ، ويعلوه " العقل " المطلق " وهو الله . "

على الرغم من أن " هيجل " وصف فلسفته هذه بأنها " حكمة الله" وبأنها " خدمة الله ومعرفته " ، بل بأنها " لاهوت" ، وكان ما يقصده من هذه الأسماء ، هو أن ما يدركه العقل الألهى والدينى ، ما هو الا مجرد ايحاء بالروح المطلقة ، على الرغم من هذا فاننا نرى أنه انتقص من هيبة الله وعظمته ، وبأنه خلعه من عرشه ، وأنزله من سمائه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وأن الملحدين الذين جاءوا من بعده ،اتخذوا " مطلقه نقطة انطلاق لفلسفتهم الالحادية .

فويرباخ

اذا تجاهلنا منهج (هيجل التفصيلى) فانه يمكننا أن نعده من أنصار مذهب الألوهية ،لأنه لم ينكر وجود الله انكارا تاما - وان كان قد حوله الى " عقل مطلق " - ولم ينفه من الفلسفة نفيا مطلقا ، ولذا تعامل فلسفته على أنها تراث مشترك لكل موقف فلسفى لا حى ، يدفع عن الاتجاه الذى يعترف بالألوهيــة .

غير أن من المفارقات التى اتسم بها التفكير اللاحق ل (هيجل) عن الله ،

هى الظهور السريع للفلسفات الملحدة ، والمتناهية ، والشخصية . ولما كانت هذه الحركات الجديدة قد جاءت فى أعقاب نزعة مثالية ، مجدت الالهى واللامتناهى ، واللاشخصى ، فيبدو أنها تنطوى على انقلاب تام فى الاتجاه السابق ، وأنها تضرب - بحق - مثلا أصيلا على الانفصال التاريخى . ومهما يكن الأمر ، فان الفحص الدقيق يكشف عن أن هذه المفهومات الجديدة تعتمد فى شطر منها على حركات عقلية أخرى ظهرت فى القرن التاسع عشر ، وتعتمد فى شطر آخر على تطوير بعض النغمات المتصارعة فى فكر (هيجل) نفسه . فالجناح اليسارى من الهيجليين قد شجعه - بكل تأكيد - الأزدواج الذى أحاط بالوجود الفعلى للمطلق على استبعاد الروح المطلقة ، وعلى اضفاء طابع المطلق على الطبيعة الانسانية وعلى الحياة الاجتماعية .

كان " فويرباخ " (١٨٠٤-١٨٧٢) من الجناح اليسارى الهيجلى ، انضم الى تلاميذ " هيجل " - قبل وفاة " هيجل " بأعوام قليلة - ببرلين . وكان من قبل يدرس العلوم الدينية ، ويقال انه انضم الى تلاميذ " هيجل " حين وقع فى أزمة فكرية ، نتيجة لضروب التوفيق ، التى سعى اليها علماء لاهوتيون - من أمثال (شلاير ماخر) - بين الحرية الانسانية ، والتبعية لله ، وبين قوانين العقل ، ومطالب الايمان . ولم يستطع (فوير باخ) أن يجد - حتى عند زعيم المثالية الألمانية - حلا مرضيا لهذه التوترات . ((والواقع أنه كلما استمع الى " هيجل " ، وهو يتحدث عن تعينات " الفكرة المطلقة " فى الواقع الانسانى ، ازداد تعجبا عن كيفية التوفيق بين هذه النظرة المثالية للانسان ، وبين ما تقرره البيولوجيا والفزياء عن الانسان . وعن ذلك المزاج المتشكك العميق الذى تولد عن هذا المأزق ، وضع " فوير باخ " تدريجيا فلسفة رأى أنها أكثر تمشيا مع الروح العلمية فى القرن التاسع عشر .

أنتج " فويرباخ " فى الفترة القصيرة ، التى تمتد بين عامى ١٨٠٩ ، و ١٨٤٣ م أربعة مؤلفات رئيسية ، تحدد موقفه من المسيحية ، ومن الهيجلية . وقد تنبأ بأن مستقبل الفلسفة ينتمى الى موقف يجمع بين النزعة الانسانية ، والنزعة الطبيعية ، ولكنه أضاف شرطا لفتح الطريق أمام النزعة الانسانية الطبيعية ، ألا وهو ازالة إلـــه المسيحية ، ومطلق " هيجـــل " .

والى طريقة " فويرباخ " فى وضع مشكلة العقل والطبيعة ، يرجع السبب الرئيسى ، الذى جعل من الالحاد سمة مميزة لكثير من النزعات الانسانية والطبيعية ، خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

أرسى " فويرباخ " قواعد الالحاد فى العصر الحديث ، فطرح قضيـــة شغلت الفكر ، ذلك انه تقدم بقضية " تاريخية ، هى أن المهمة الرئيسيـــة للفكر الحديث هى " تأنيس الإلـــه " اذ يرى أن البروتستانتية تركـــز على دلالة الله للخلاص الانسانى ، ومذهب شمول الألوهية يغلق الأبـواب على الله داخل الطبيعة ؛ والمذهب التجريبى يحكم على الله بمعيار النزعـة العملية فى الانسان ؛ وتنظر المثالية الى الله والطبيعة بوصفهما وجهين لكل روحى واحـــد . ويعـــد " هيجل " ذروة هذا الاتجاه " التأنيسى " ، ولكنـه يفتقر الى الشجاعة التى تدفعه الى النتيجة المحتومة التى تتألف من رد كل ما هو ما فوق الانسان الى الانسان ، وكل ما هو فوق الطبيعة الى الطبيعة وتنقطع الاسباب بمذهبه دون الوصول الى هذا الرد النهائى نتيجة لاحتفاظه بالروح المطلقة . "

ويرى " فويرباخ " أن رسالته الخاصة ، هى " تأنيس " و " تطبيع "Naturalization" الروح المطلقة ، بصورة تامة .

[illegible] " هيجل " الى حد معين

قال " فويرباخ " على عكس ذلك : " الانسان هو وحده الحقيقى ، والموجـــود الفعلى "

لأن ما هو انسانى هو وحده العقلى :

الانسان هو مقياس العقل . . . و " المطلق " بالنسبة للانسان هو طبيعته الخاصة .

وبهذه الطريقة يفسر " فويرباخ " الدين والله من الطبيعة الانسانية وميولها ، " فما يميز الانسان عن الحيوان ، هو قدرته على أن يدرك بتفكيره ، لا الفرد وحده ، بل النوع بأكمله . وعقل الانسان ملىء بطبيعته الجوهريـــة الخاصة ، الى درجة انتهت به الى اعتبار نفسه كائنا لا متـــناهيا . فـــاذا عرف الدين بأنه الوعى باللامتـــناهى ، أمكننا أن نفهم ذلك بوصفه ادراكا للانهائية وجود الانسان الجوهرى الخاص ، غير أن العقل الدينى ، لا يـــرى فى البداية أن موضوع عبادته ، هو ماهية الانسان اللامحدودة . الانســـان يبدأ بأن يرى طبيعته ، وكأنها " خارج " نفسه ، قبل أن يجدها فى نفسه . وفى الحالة الأولى ، يتأمل نفسه وكأنها نفس كائن آخـــر . "

ومن هذا التحليل يستخلص " فويرباخ " هذه النتيجة المتناقضة :

وهى أن العقل الدينى ، الذى يبلغ أقصى حالات الوعى بذاته ، ينبغـــى أن يكون ملحدا . فالانسان هو لنفسه الالـــه الحقيقى الوحيـــد . ومـــا ان ينفذ الانسان الى دلالة الدين الحقيقية ، حتى يستطيع الاستغناء عن الالـــه ، أو عن الروح المطلقة ، ويكرس نفسه لتحقيق امكانات وجوده الجوهرى الخاص .

ولا شك فى أنه كان مغاليا ، حين سمح لفكره أن يضفى طابع المطلـــق على كل ما يخصص له " الديالكتيك الهيجلى " وظيفة ثانوية ؛ فبينما يقول " هيجل " ان الروح المطلقة هى ... وحدها الموجودة فعلا ، وأنها منهمكة فى العملية

يلتزم " فويرباخ " بما يناقض ذلك ، فيقول :

إن الموجود المتناهى المتطور زمانيا ، هو وحده الموجود الفعلى ، ويتمسك - مخالفا مذهب الألوهية - بلا تناهى الانسان .

فهو لا يدرك الفرق بين الدفاع عن حقيقة الأشياء المتناهية ،بأثبات أنها " ليست " لحظات فى النمو الديالكتيكى للروح المطلقة ، وبين أن يفعل ذلك ، بأن يجعلها المضمون المطلق الوحيد للوجود .

كان " فويرباخ " من أكبر فلاسفة الالحاد فى القرن التاسع عشر ، بنى فلسفته على " أن الحقيقة ، هى علم الانسان ، وأن علم الانسان هو الدين ، والدين إذن محصول للعقل الانسانى ، وليس موحى به من خارج الانسان .

" والطبيعة الالهية كذلك ، هى طبيعة الانسان نفسه ، وأفكاره ، وآماله الانسانية . " فهو يكفر بالحياة الآخرة ، اذ هى ليست عنده شيئا آخر ، سوى هذه الحياة الدنيوية ، على اعتبار أن الله ليس شيئا آخر غير الانسان .

فكان يرى أن الانسان اذا فقد الايمان ، ولم يصدق بحياة أفضل فى الآخرة ، وأراد أن يقيم حياة سعيدة على هذه الأرض ، فسيخلق هذه الحياة .

تعلم " ماركس " هذا الدرس ، درس الالحاد من " فويرباخ " ، وحوّله من وحدة بين الوعى الذاتى والروح المطلقة ، الى وحدة بين الوعى الذاتى ، والوعى الاجتماعى للبشر ليصل بذلك الى نزعة الالحاد الاجتماعية .

ماركس

استمد " ماركس " مصادر فكره الأولى من " فيشته " و " هيجل " و " فويرباخ " ، فقد قوبلت بحوث " فويرباخ " ذات النزعة الطبيعية بحماس شديد فى أوساط الهيجليين اليساريين ، وكان ماركس - وهو يملك عقلا

التاسع عشر - يبحث عن هداية فكرية حازمة تقوده الى نزعة انسانية - طبيعية ، فاستوعب - بسرعة بالغة - حجج " فويرباخ " ضد الروح المطلقة ، فخلص من ذلك الى اعتناق فكرة :

النزعة الانسانية الطبيعية ، أو النزعة الطبيعية الانسانية ، واعتمد في ذلك :

- اما على رغبته في تأكيد احتواء النشاط ، والتطلع الانسانيين داخل الطبيعة المتناهية ،

- أو في تأكيد الاسهام المتميز للذكاء والعمل الانسانيين في المجال الطبيعي ، وفي كلا التأكيدين يلتقي ما هو واقعي - على أي حال - بمجموع علاقات الانسان والطبيعة التقاء تاما .

ولكي يضمن اتحادهما ، واتجاه كل واحد منهما نحو الآخر ، فقد ألقى الضوء على وظيفة العمل ، التي هي الوسيلة الرئيسية - عنده - "لتأنيس" الطبيعة و" تطبيع" الانسان أيضا ، " وأشار الى قدرة العمل على التحويل في التاريخ كدليل عيني ملموس ، على الاكتفاء الذاتي المتناهي ؛ فالانسان يصبح انسانا اجتماعيا من خلال عمله مع الآخرين ، وفي بيئة طبيعية ، وهنا لأول مرة يصبح وجوده الطبيعي ، هو وجوده الانساني ، وتصبح الطبيعة انسانية بالنسبة له .

وهكذا يكون المجتمع هو الوحدة الجوهرية الكاملة ، التي تتألف من الانسان والطبيعة ... هذا اذن هو المطلق الجديد ، الذي قدمه " ماركس " ليحل مكان التحول ، الذي أراد به " هيجل " أن يصرف الانسان نحو الروح اللامتناهية ، وليكون وسيلة لصبغ نزعة " فويرباخ " الطبيعية ، بصبغة اجتماعية ، وتاريخية أكثر وضوحا . "

سعى " ماركس - بعد أن اهتدى الى هذا المطلق الاجتماعي - الى

شأن نفسه ، ومن ثم فقد أهاب بالتقوى التى يشعر بها الناس نحو الطبيعة ، وبتوقيرهم الانسانى للانجازات الحضارية بوصفها أسبابا كافية للالحاد . وكان حكمه أنه من الآن فصاعدا ، لن يسلم بأى وجود الهى فيما وراء الطبيعة .

" ان الغاء الدين - بوصفه سعادة الناس الوهمية - شرط من شروط سعادتهم الحقيقية . ودعوتهم الى التخلى عن أوهامهم فيما يتعلق بوضعهم ، هو دعوتهم الى التخلى عن وضع يعيش على الأوهام .... وواجبنا المباشر هو أن نحيط اللثام عن الاغتراب الانسانى فى صورته الدنيوية ، بعد أن رفعنا عنه القناع فى صورته المقدسة . وهكذا يتحول نقد السماء الى نقد للأرض ، ونقد الدين الى نقد للقانون ، ونقد اللاهوت الى نقد للسياسة . "

كان من الممكن أن يكون مصير فلسفة " ماركس " ، وهو نفس مصير فلسفة " فوير باخ " ، تنحصر فى مدرجات الجامعات ، وبين أروقة الباحثين والمفكرين ، ولكنه - أى ماركس - استخدم " مبدأ النقيض " فى المجال الاقتصادى ، فاتصل بالجماهير ، مما جعل لفلسفته أتباعا ، استغلوا جهل العامة بالمتناقضات فى هذه الفلسفة ، فاستخدموهم لانتزاع السلطة فى بلد أتاحت لها الظروف الدولية أن تكون احدى القوى العظمى فى العصر الحديث ، ثم ما لبثوا أن استغلوا الأوضاع السياسية التى خلقتها سنى الاستعمار الأوربى لدول آسيا وافريقيا لنشر الحادهم فى تلك البلاد ، ويأتى العالم الاسلامى فى مقدمة المناطق ،التى تقع فى مواجهة الدعاية الشيوعية الالحادية ، التى تبدو للجماهير العمالية فى ظاهرها حلوة ، مع أن فى باطنها هلاك ودمار لهم أخلاقيا واجتماعيا واقتصاديا .

تناقض فكر " ماركس " فى استخدامه " لمبدأ النقيض "

استخدم " ماركس " " مبدأ النقيض " ، الذى عرف للفيلسوفين الألمانيين

التصور الذهنى ، الذى وجدناه عند " فيشته " ، وغير مجال " الفكـــــرة " الذى عرفناه لـ " هيجـــل " . استخدمه فى مجال الاقتصاد مستندا الــــى تاريخ المجتمعات البشرية .

ان التصور العام " لمبدأ النقيض " هو أن كل " شىء " فى الوجود ، يتضمن نقيضه ، بحيث أنه يهدم نفسه بنفسه .

استخدم " ماركس " هذا المبدأ لكى يقيم الدليل على انهيار المجتمع الرأسمالى ... ، فهو يرى أن المجتمعات السابقة على الرأسمالية ، - وهى : مجتمع الملوك ، والمجتمعات الاقطاعية (حيث يتحكم أصحـــــاب المزارع الكبيرة فى سلطة الدولة) - انهارت لأنها تضمنت عنصـــــــر النقيض ، فقد قام الصراع بين الملك - لأنه يملك الأرض وما عليها ، ومـــن عليها - والشعب ، فأدى ذلك الى اضطرار الملك الى اقطاع بعض رجاله اقطاعيات ليكونوا سندا له ، فتحول المجتمع الى مجتمع اقـطاعى ، وهـــذا المجتمع بدوره ، يتضمن عنصر النقيض ، ويمثل هذا العنصر الأجـراء عنــد الاقطاعيين ، وعليه فقد قام صراع بين الأجراء والاقطاعيين ، أدى الـــى تنازل الاقطاعيين عن الأرض للأجــراء ، وتحولوا الى بناء المصانع ، فتحـول المجتمع الى مجتمع رأسمالى ، والصراع قائم بين أصحاب رؤوس الأموال ، وبـين العمال ، وسـيؤدى حتما الى أن يملك العمال المصانع ، وبذلك سيتحـول المجتمع الى شيوعى .

ان لاستخدام " مبدأ النقيض " على هذا النحو بريقا ولمعانا ، وهـــــو أسلوب يخدع الجماهير ، ويقودهم بمقود ناعم ، الى ساحة يترقبون فيهـــا الحصول على السعادة الدنيوية ، ساحـــة تطبيق الشيوعية ، - أو الاشتراكيـة يسمونها تورية وتعميـــة - ، فاذا وصلوا اليها ، لا يجدون سوى الضياع

طبقا لنظريتـــه - لتبين لهم خطأهـــا من عدة وجـــوه :

١ - لم يتحول مجتمع الملوك - كما يدعى " ماركس " - الى مجتمع اقطاعى ، نتيجـة للصراع بين الملك والشعب ، وانما أقطـع الملك بعض قواده ، ووزرائـه تكريما لهم ، على خدماتهم لــه ، أو للدولـة . أضـف الـى ذلك أنــه لم يكـن المجتمع الاقطاعى بديــلا لما سبقــــه ، بدليل أن نظام الملكية لم يلغ فى هذا المجتمع ، بل ظل قائما ، وبقى الملك جالسا على عرشه .

٢ - كذلك لم يتحول المجتمع ، من اقطاعى ، الى رأسمالى تحت ضغـــط الصراع بين الأجراء والاقطاعيين ، وانما لأن الاقطاعيين رأوا أن الصناعة تدر ربحا أكثر من الأرض ، فباعوها ، وأقاموا المصانع سعيا وراء هذا الربح .

٣ - يدعى " ماركس " - طبقا لنظريته فى استخدام " مبدأ النقيض - أن التطـــور ينقل المجتمعات من مرحلة الى التى تليها ، ولكن الواقع خلاف ذلـــك ، فقد كان المجتمع فى روسيا قبل الثورة البلشفية اقطاعيا ، ولم يكـن رأسماليا ، فكيف تحول منه الى الشيوعية ، دون أن يمر بمرحلـــــة الرأسمالية ! ! !

٤ - كما يدعى أن هذا التطور حتمى ، فكيف يفسر الماركسيون ، عــــدم تحول المجتمعات الغربية الرأسمالية الى شيوعية ، على الرغم من أنهـا سبقت المجتمعات التى تطبق الشيوعية ، الى مرحلة الرأسمالية ! ! ! !

٥ - يدعى " ماركس " أن التطور طبيعى ، لأن كل مجتمع يحمل نقيضه الـذى يتصارع معه ، فهل يستطيع " الماركسيون " ، أن يبينوا لنا ، ماهـــى أطراف الصراع فى المجتمع الشيوعى القائم الآن ! ! ! هل يدور الصـــراع [illegible] الذين يملكون كل شىء ، وبيــن

معدودة عليهم بواسطة المخابرات ! ! !

فان قالوا : ليس هناك صراع ، فقد نقضوا أساس نظرية " ماركس " بأنفسهم ، لأنها قائمة على مبدأ النقيض .

٦ - يدعى " الماركسيون " أن مجتمعهم ، هو أرقى المجتمعات ، لأن من لوازم قضية التطور صيرورة الشئ الى ما هو أحسن منه . والسؤال الذى يوجه اليهم هنا هو :

هل سيقف تطور المجتمعات الى هذا الحد ؟

فان قالوا : نعم

فقد نقضوا نظريتهم ، لأنها قائمة على مبدأ الاستمرار فى التطور ، وهو أساس مبدأ النقيض .

وان قالوا : لا

فقد حكموا على مجتمعهم بأنه ليس هو الأفضل ، وينبغى عليهم ، إن أرادوا أن يكونوا " تقدميين " - كما يزعمون - أن يبحثوا عن الأفضل .

٧ - يدعى " ماركس " أن التطور حتمى وطبيعى ، أى أنه نابع من المجتمع ، ويسير سيرا طبيعيا - كما يفهم ذلك من " مبدأ النقيض " .

ولكننا نرى أن المجتمعات ، التى تطبق الشيوعية الآن ، لم تتحول الى هذه المرحلة ، طبقا لهذا المفهوم ، بل أجبرت بقوة السلاح - فى روسيا عن طريق الثورة البلشفية ، وفى دول شرق أوروبا بواسطة قوات الجيش الاحمر عندما سيطر عليها فى الحرب العالمية الثانية - ، ولا يمكن أن يعزى التحول الذى حدث بالقوة الى تفاعل طبيعى داخل المجتمع .

سياسة " الماركسيين " تجاه الاسلام والمسلمين

لو لم تقم الثورة الروسية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، لمات الفكر الماركسى ، لأنه لا يحمل أى مقوم ذاتى يساعده على الثبوت والاستمرار ، ولكن بقاءه يعود أولا الى القوة المسلحة التى تسانده ، وتقف وراءه فى كل مكان وجد فيه .

وما تطلقه الدعاية الشيوعية من شعارات : كالتقدمية ، والحرية ، والعدالة الاجتماعية ، والسلام ... و ... و ... الخ ، يكذبها واقع المجتمعات التى يفرض عليها النظام الشيوعى فرضا .

وسنبين ذلك بعد عرض سريع لعلاقة روسيا الشيوعية بالاسلام والمسلمين بعد قيام الثورة البلشفية .

علاقة الماركسيين " بالمسلمين داخل الاتحاد السوفييتى :

وجهت الحكومة السوفييتية الجديدة فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٧ م - أى بعد انقضاء ستة أسابيع على وقوع الانقلاب ، الذى جاء بالبلشفيين فى روسيا الى الحكم - نداءها الرسمى الأول الى المسلمين ، جاء فيه :

((لقد سقطت ممالك المغتصبين ، والقراصنة الرأسماليين ، وان الأرض تغلى تحت أقدام المعتدين الاستعماريين . يا مسلموا روسيا ، يا من خربت مساجدكم ، وهدمت بيوت عبادتكم نعلن لكم :

أن عقائدكم الدينية ، وشعائركم ، ومنشآتكم الحضارية والقومية ، ستصبح ابتداء من اليوم مصونة ، لن تمتد اليها يد آثمة . أقيموا حياتكم القومية ، فى جو من الحرية ، دون أن يعوقها عائق ، فلكم الحق فى ذلك .))

كان الدافع الى هذا النداء ، هو محاولة كسب المسلمين الى جانب الشيوعيين ، حتى يتمكنوا من بلشفتهم ، يشهد بذلك ما تلاه من خطوات ؛ فقد كونت موسكو فى يناير سنة [illegible] لجنة مركزية - أطلق عليها اسم " المجلس

بالأموال اللازمة دون حساب .

حصرت مهمة هذه اللجنة في بادئ الأمر في شئون المسلمين داخل الاتحاد السوفييتي . ولكن سمح لها فيما بعد بتوسيع دائرة اختصاصها ، لتشمل المسلمين في أرمينية ، فاصبحت - أو شعرت - بأنها مسئولة عن تيسير شئون الدين الاسلامي في هذه المنطقة ، وبهذا تدخلت هيئة سوفييتية لأول مرة - دون مواراة أو مداراة - في مسائل تتصل بشئون اقليم ، يقع خارج حدود الاتحاد السوفييتي .

ثم خطت الحكومة السوفييتية خطوة أخرى ، فأوحت الى هذه اللجنة أن تدعوا الى عقد مؤتمر في ديسمبر سنة ١٩١٨ م ، وكان الهدف الأساسي من وراء عقده أن تتوصل الدعاية السوفييتية ، الى انشاء خلايا لها في العالم الاسلامي ، ففي أثناء انعقاد المؤتمر ، تكونت " رابطة تحرير الشرق " ، وصيغ برنامج عملها في مذكرات تحت عنوان : " الشرق والثورة " .

دب النشاط في " رابطة تحرير الشرق " ، فأسست في عام ١٩٢٠ م مدرسة عليا في طشقند ، لتخريج الطلائع الثوريه في الشرق ، اذ يدرب في هذه المدرسة حملة سياسة البلشفيين في العالم الاسلامي ، فيتعلمون كل الأساليب الثورية ، ثم يرسلون الى كل الاتجاهات في منطقة العالم الاسلامي ، للاعداد للثورات ، التي يقف الاتحاد السوفييتي من ورائها ، ويدعمها بالمال والسلاح .

أراد الماركسيون في الاتحاد السوفييتي ، أن يمهدوا الطريق أمام أذنابهم داخل العالم الاسلامي ، فدعوا الى عقد مؤتمر لشعوب الشرق في باكو ، وكان ذلك في خريف عام ١٩٢٠ م ، ووجهت الدعوة الى أكثر من ٢٥٠٠ عضوا ، من كل بلاد العالم الاسلامي ، فلبى الدعوة أكثر من ١٨٠٠ عضوا .

لم تصل روسيا الى أهدافها في المؤتمر ، فقد انقسم الشرقيون فيه

مجموعة شيوعية ، وكانت ترى أن التمهيد للثورات الوطنية في الشرق الاسلامي ، يمثل مرحلة على الطريق الى الثورة الاشتراكية .

أما المجموعة الثانية ، فرحبت باعتراف السوفييت بالثورات الوطنية ، وتأييدهم لحركات التحرير في الشرق ، وفيما عدا هذا ، يجب أن تبتعد هذه الثورات عن الأفكار الثورية الاشتراكية ، التي تطبقها روسيا داخل أقاليمها . ولم تكن روسيا بالنسبة لهؤلاء سوى صديق يساعدهم على التخلص من الاستعمار .

كذلك رفضت فكرة المقارنة بين الاسلام والاشتراكية ، التي أعلنها الشيوعيين على المؤتمر . وهي :

((..... كما أن الاسلام يدعو الى المساواة بين أتباعه ، ويؤاخي بينهم ، كذلك يضم رباط أخوي ، كل الذين يؤمنون بالنظام الاشتراكي البلشفي ، الذي يدعو الى المساواة ، يشبه النظام الاسلامي .))

كان لرفض المسلمين المشتركين في المؤتمر لهذا التحليل رفضا باتا ، أثر على السياسة البلشفية ، تجاه الشرق الاسلامي ، وعلى المسلمين داخل الاتحاد السوفييتي ؛ اذا كان حكام روسيا البلشفية ، يتصرفون معهم بتحفظ ، حتى لا تتسف مجهوداتهم في العالم الاسلامي ، ولكن بعد أن فشلت سياسة البلشفيين ، وتحطمت محاولتهم ، في تقريب الثورات الوطنية من الاتجاه الاشتراكي ، تغيرت سياسة الحكومة السوفييتية تجاه المسلمين ، الذين يعيشون داخل الاتحاد السوفييتي ، فسقطت أقنعة التسامح الديني ، الذي تظاهروا به في بيانهم الأول ، فأغلق عدد كبير من المساجد ، وجمعيات تحفيظ القرآن ، بلغ عددها حتى عام ١٩٢٢ م ، ما يقرب من ٨٠ ٪ من العدد الكلي للمساجد ، ولم ترمم أبنيتها ، بل تحولت الى مدارس علمانية ، ومسارح ، ودور للخيالة - " سينمات " - ونواد ، فتحول مبنى المدرسة الاسلامية العليا في سمرقند الى متحف للالحاديين ، الذين ينكرون وجود الله . وطبقا للتقديرات المتحفظة - لأن روسيا تفرض رقابة شديدة ، حتى لا تتسرب أنباء بلشفة المسلمين داخل الاتحاد السوفييتي ، [illegible]

وصلت الينا ، فقد بقى للمسلمين فى بخارى عام ١٩٢٣ م عشرة فى المائة فقط من مساجدهم التى كان عددها أربعمائة مسجد .

حاولت جمعية الملحدين فى الاتحاد السوفييتى ، أن تنشر تعاليمها فى المناطق الاسلامية فى روسيا ، واستماتت فى نشاطها ، للحصول على أتباع من المسلمين ، ولكن المسلمين بدوا محصنين ، ضد دعاية هذه الجمعية ، ومما هو مؤكد أن أعضاءها مارسوا - ومازالوا يمارسون حتى الآن - معهم كل الأساليب ، بما فيها استعمال القوة ، ومع هذا فقد ظل نجاح هذه الجمعية ضئيلا جدا ، ليس له وزن .

ومن الجدير بالذكر أن " مبشرى " - أو بمعنى أصح " مضللى " - جمعية الملحدين - لاقوا من المسلمين عنتا أكبر ، ومقاومة أعنف ، مما لاقوه من المسيحيين . ومازال اخواننا المسلمين فى الاتحاد السوفييتى ، يتعرضون - حتى الآن - لأساليب التهديد المختلفة ، لأنهم يؤمنون بالاسلام ، ويطبقون تعاليمه ، حتى وان كان ذلك فى خفية عن أعين رقباء النظام الماركسى ؛ فقد نشرت جريدة الأخبار القاهرية فى عددها الصادر فى ١٩٧٤/٧/١٢ م ما يلى :

((موسكو - رويتر : ذكرت الأنباء الصحفية ، التى وصلت الى موسكو اليوم ، أن عددا من الأعضاء العاملين فى الحزب الشيوعى بمنطقة قوقازية نائية ، قد طردوا من الحزب بسبب مشاركتهم فى الاحتفالات الدينية الاسلامية .

" وجاء فى مقال نشرته صحيفة " زوربافيتسكا " ... بعددها الصادر يوم الجمعة الماضى أن عدد المؤمنين فى منطقة " أزهاريا " ، الواقعة على البحر الأسود ، بالقرب من الحدود التركية قد تزايد بدرجة كبيرة فى العام الماضى .

وذكرت الصحيفة أن مدير احدى المزارع الجماعية قد فصل من الحزب ، كما تعرض بعض رجال الحزب الآخرين ، لتأنيب قاس ، بسبب انخفاض مستوى الدعاية الالحادية ، التى يقدمونها ، بسبب مشاركتهم فى الطقوس الدينية .))

علاقة روسيا البلشفية بالعالم الاسلامى

تضمن البيان الذى أعلنته الحكومة السوفييتية البلشفية فقرات ، وجهت الى

المغتصبون الاستعماريون القادمون، من أوروبا ، التجارة قرونا طويله ، بأرواحكم وأموالكم ، وحرياتكم ، وأوطانكم ، يامن قسم دياركم هؤلاء النهاب ، الذين أشعلوا الحرب العالمية ، نعلن لكم :

- أن معاهدات القيصر المخلوع السرية ، التى نص فيها على السماح له بغزو القسطنطينية بالقوة ، قد مزقت ، ومحيت من الوجود ، فالجمهورية الروسية ، وحكوماتها ترفض الغزو المسلح لأراضى دولة اجنبية .

- ان معاهدة تقسيم ايران ، قد مزقت ، وأزيلت من الوجود ،فبعد أن تنتهى العمليات الحربية ، ستنسحب القوات الروسية مباشرة من ايران ، وستكفل الحرية للشعب الايرانى ، ليقرر مصيره السياسى ، عن طريق استفتاء شعبى حر .

- ان معاهدة تقسيم تركيا ، واغتصاب أرمينية ، قد مزقت ، ومحيت من الوجود . وبعد ان تنتهى العمليات الحربية ، ستكفل الحرية أيضا لشعب أرمينية ، ليقرر مصيره السياسى ، عن طريق استفتاء شعبى حر .

حددت هذه الكلمات أسس الاتجاه السياسى ، الذى أراد السوفييت الالتزام به تجاه العالم الاسلامى ، حيث تنتشر انتفاضة ضد المستعمرين ، وكان البلشفيون يقصدون من وراء هذه الوعود - التى لم يلتزموا بها فيما بعد - استغلال هذه الموجة التحررية - التى عمت أرجاء العالم الاسلامى - لتمهيد الأرض أمام عقائدهم ، وسرعان ما تجاوبت أصداء البيان الروسى ، وأحدث رجع الصوت دويا فى أرجاء المنطقة ، فتزايدت الأصوات فى تركيا ، وفارس، التى هللت للبيان السوفييتى ، ووصفته بأنه وثيقة الحرية الكبرى . كما أثر النداء فى الفكر الاسلامى تأثيرا كبيرا ، اذ اختط قنوات وعبر طرقا للفكر الماركسى الالحادى ، وظهرت معالمه فى كثير من أوجه النشاط الفكرية والسياسية ، ونلمح أثر ذلك فى قيام روابط بين ما يسمون أنفسهم بالثوريين فى البلاد الاسلامية ، وفى وضع الخطط لقيام اتحاد بينهم ، يعمل على انشاء رباط ثورى ، بين التيارات المتطرفة فى الأقاليم الاسلامية .

أرادت موسكو أن تقيم علاقات وطيدة بين حركات الاستقلال الوطنى ، التى اندلعت فى العالم الاسلامى ، وبين النضال العقائدى ، الذى تقوده ، فى مواجهة العالم الغربى ،فتقدمت على هيئات متعددة ، محاولات الدعاية الشيوعية

بمساعدات للحكومات ، التى أبدت استعدادا وميلا للعمل مع الاتحاد السوفييتى ضد الاستعمار الغربى .

في أفغانستان

ظهرت آثار السياسة الشيوعية أولا فى أفغانستان ، اذ هزت الدعاية الشيوعية موقف الأمير حبيب الله ، عندما أشاعت ، بأنه آلة فى يد الساسة البريطانيين ، اشتروه بثمن بخس ، ثم أمدت روسيا عملاءها الشيوعيين ، بالمساعدات المادية ، فأسسوا " حركة الاستقلال الوطنى الأفغانية " ، وظهر على رأسها أخو الأمير ، ولم يمض وقت طويل ، حتى اغتيل الأمير ، فملك أصدقاء الروس زمام الأمور ، وتدفعت الأسلحة الروسية الى داخل البلاد .

وبعد أن أعلن استقلال أفغانستان ، وقيام المملكة الأفغانية ، وتوقيع المعاهدة الأفغانية الانجليزية فى نوفمبر سنة ١٩٢٠ م ، تلك المعاهدة التى نصت على انهاء الوصاية الانجليزية على أفغانستان ، سارعت روسيا باصدار بيان تقول فيه ان مجلس الوزراء السوفييتى يعلن :

" ان حكومة العمال والفلاحين بكل هيئاتها ، تعترف باستقلال أفغانستان ، وأن على أفغانستان المستقلة - ابتداء من الآن - واجب التحالف مع روسيا لمساعدة شعوب الشرق الاسلامى ، التى لا زالت ترزح تحت نير العبودية لتنال حريتها الوطنية والاجتماعية ". وتبدو فى البيان نغمة الثورة الاشتراكية ، التى تحاول موسكو أن تلزم الحكومات الجديدة فى المناطق المستقلة حديثا باتباع النموذج المطبق فى موسكو ، وأن تحذو حذو البلشفيين فى روسيا ، أن اتخاذ موسكو كعبة لها فى الاصلاح السياسى والاجتماعى .

نجحت هذه السياسة الى حد ما فى أفغانستان ، فتحقق هذا التحالف الذى نادت به موسكو ، وذلك بابرام معاهدة الصداقة الروسية الأفغانية التى وقعت فى فبراير سنة ١٩٢١ ، ومما يلفت النظر أنه نص فى هذه المعاهدة على قيام خمس قنصليات لروسيا فى أفغانستان بجانب سفارتها فى كابول ، ولا شك أن المقصود من وراء إنشاء هذا العدد من القنصليات هو تطوير وتركيز النفوذ السوفييتى ، الذى يسهل عملية نشر العقائد الماركسية

هاما فى سد الطريق أمام الدعاية الشيوعية حتى لا تنفذ الى الأقاليم الافغانية ، فانحصر نشاط البلشفيين فى العاصمة كابول ، حيث انها استخدمت كمركز للدعاية الشيوعية خارج حدود أفغانستان ، اذ وصل حملة العقائد الماركسية الى الهند وكان يتلقون أوامرهم من كابول ، لا يتحركون الا بتوجيههم وارشاداتهم والحق أنهم كانوا فى الهند " دمى " يحركهم البلشفيون من داخل أفغانستان وهكذا تمكن الماركسيون من اقامة مركز لهم فى هذا البلد ، تنطلق منه سموم الدعاية الالحادية ، التى لن تهدأ الا بتحويل هذا البلد الاسلامى المتاخم للاتحاد السوفييتى الى بلد شيوعى ، وقد ظهرت معالم هذا التحويل بقيام ثورة فى هذا البلد فى الفترة الاخيرة ، وان لم يدرك العالم الاسلامى ذلك ، فيهب للحيلولة دون هذا التحويل الالحادى ، فسوف يندم المسلمون فيما بعد ، حيث لا ينفع الندم ولا يفيد .

فى ايران

اعتبر السوفييت المنطقة الفارسية . ذات أهمية بالغة ، باعتبارها - من الناحية الجغرافية - مركز العالم الاسلامى فى غرب آسيا ، فهى تهم روسيا بنوع خاص لأن حدودها معها تمتد مسافة كبيرة .

بعد أن بُلْشِفت منطقة بخارى ، حاولت روسيا - فى بداية علاقتها مع ايران - أن تطوى هذه الدولة أيضا عن طريق مساعدة الجيش الأحمر للحكومة ضد انجلترا ، وقد قوبل دخول هذا الجيش بالترحيب فى بادىء الآمر ، لأنهم اعتبروه حليفا ومساعدا لهم على التخلص من الاستعمار ، ولكن عندما لاح فى الأفق ، أن هذه القوة المسلحة ، تحاول اشعال نار الثورة الاشتراكية ، أن بلشفة ايران ، انتشرت معارضة هذا الاتجاه ، وازدادت مقاومته ، فاضطرت الدعاية السوفييتية الى مراجعة مخططها ، وتبين لها أن الوقت لم يحن بعد للقيام بهذه الخطة ، وكتبت صحيفة " ازفستيا " فى عام ١٩٢٠ م تقول :

" ان من الخطأ أن نعتقد أن الثوار الفارسيين شيوعيون ، وأنهم النموذج الذى يلتزم بقواعد ثورتنا الاشتراكية ، فليس فى فارس عمال مصانع ، بل هو بلد زراعى متخلف ، ولا ينبغى أن نحاول القيام بثورة هناك ، لأن الظروف لم تتهيأ بعد ولم يوجد المناخ الذى يساعد على نجاح الثورة . "

هذا هو أسلوب الشيوعيين فى كل بلد ، يختفون تحت الشعارات الوطنية ثم يحاولون الوصول الى هدفهم ، عن طريق اشعال نار الثورة ، مستخدمين القوات المسلحة ووسائل الاعلام ، والتجمعات العمالية ، فاذا لم ينجحوا ، تراجعوا لمراجعة خططهم ، واعداد العدة لمحاولة جديدة .

ومن الخطأ الاعتقاد بأنهم اذا فشلوا فى منطقة يئسوا من النجاح فيهــا وصرفوا النظر عنها . . . لا . . . انهم يحاولون المرة بعد الأخرى بأساليـب مختلفة ، وطرق شتى ، متخفين وراء وجوه جديدة على المجتمع ، ويرتكبون كــل شيء يوصلهم الى هدفهم حتى ولو وصل الأمر الى الكفر بمبادئهم ومهاجمتهــا علنا ، فى بعض المواقف ، ان كان ذلك سيوصلهم الى هدفهم ، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة .

اكتفت موسكو بتقديم المساعدات الدبلوماسية ، والأدبية ، والأقتصادية للثوار الفارسيين ليناضلوا ضد الاستعمار الانجليزى ، وهكذا أصبحت موسكو فــى ايران - كما فى أفغانستان - السند القوى للدولة الجديدة ، التى أسسهــا رضا خان ، وجنوده القوقازيين ، بعد الانقلاب الذى قاموا به فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٢١ م .

ساعد التزام روسيا بمساعدة الحكومة الوطنية ، على تدعيم مركزها فــى ايران ، وتمكين سلطانها بصورة أكبر مما كان لها فى أفغانستان ، فأدى ذلــك الى عقد معاهدة صداقة مع الحكومة الايرانية الجديدة ، تنازلت فيها موسكو - بالاضافة الى تقديم المساعدات المالية السخية - عن الامتيازات التى كانــت للرعايا الروس فى ايران قبل الثورة البلشفية ، وفى مقابل ذلك دفعت الحكومة الجديدة الى الغاء الامتيازات الاجنبية بالنسبة لرعايا القوى الأجنبية الغربية . وكان الهدف من ذلك كله قيام حزام من الدول الصديقة لنظام الحكم البلشفى فى روسيا ضد هجوم متوقع من القوى الغربية على روسيا ، وكانت تأمل أيضــا عن طريق هذه المساعدة ، أن يتحول المجتمع الاسلامى فى ايران الى اعتناق الأيديولوجية الشيوعية ، لتضمن بقاءه فى فلك الجبهة الماركسية الى الأبد .

ولكنها لم تصل الى تحقيق قيام الثورة الاشتراكية هناك ، على الرغم مــن أن موسكو حاولت - ولا زالت - بعد عقد المعاهدة ، أن تتجاوز موقف المساعــد

الرجل الاشتراكي المتطرف ، وأنه يعمل على نقل ملكية الاقطاعيات الكبيرة الى الدولة ، وذلك حين أمر باعتقال عدد من الارستقراطيين والاقطاعيين كي يجبرهم على الموافقة علـى تأميم أملاكهم ، ولكن المقاومة ضد هذه الأفكار ، التي خرجت من مدرسة موسكو ، نمت بسرعة ، واشتدت ، وسرعان ما أظهر قائد الانقلاب رضا خان أنه لا يرضى عن العلمانيين ، أصحـاب المبادئ الثورية الاشتراكية ، بل اعتبرهم خطرا على تحقيق الآمال الوطنية ولذلك قام بعزل رئيس الوزراء ، واتخذ اجراءات ضده ، فهرب - أي رئيس الوزراء المعزول - الى خارج البلاد . ومنذ ذلك الوقت تتعقب الدولة كل المحاولات اليسارية التي تساعد أصدقاء البلشفيين على قيام ثورة بأسلوب لا هوادة فيه ، وكادت احدى هذه المحاولات ان تنجح فـــي الخمسينات ، لولا أن قيض الله لها رجالا قضوا عليها قبل أن يستفحل أمرها ، ولم يكف الشيوعيون عن محاولاتهم بكل الطرق ، فلهم فــــي الداخل تنظيم سري ، يقوم بعمليات تخريب واغتيال ، وفي الخارج يحاول تجميع الطلاب الايرانيين ، الذين يدرسون فـي البلاد الاوروبية حولهم ويلقنونهم المبادئ الماركسية ، ويعلمونهم أساليب الدعاية التي تساعد على اعداد الرأي العام الايراني لتقبل قيام ثورة اشتراكية .

فـي تركيــا

بدت السياسة السوفييتية في سعيها لتوطيد العلاقة مع تركيا ، أنها تسعى نحو نفس الهدف التي سعت موسكو لتحقيقه في ايران ، وأنها اتخذت نفس الطريق ، وسلكت نفس الأسلوب ، صداقة لتقديم مساعدات ، فعقد معاهدة فمحاولة لقيام ثورة اشتراكية . . . .

ففي صيف عام ١٩٢٠م زار إنفـر باشا موسكو ، للتفاوض مع الشيوعيين هناك ، بشأن تقديم مساعدة روسية لدولة تركيا الحديثة . . . ثم كتب عن نجاح هذه الرحلة ، التي أطلق عليها بعضهم " رحلة الحج الى موسكو " ما يلــي :

" لقد توجت هذه الرحلة الى موسكو بنجاح لم نكن ننتظره ، اذ تمكنت جذور الصداقة بيننـا ، وبين روسيا ، فالمدافع قد عبئت بالذخيرة ، وتوشك

روسيا - ، كى يتخلص من العبودية الانجليزية . "

وصلت الصداقة السوفييتية التركية فى عام ١٩٢٠ م ، الى الحد الذى عرضت فيه موسكو على كمال أتاتورك - وكان يحارب فى جبهات متعدده لتأمين قيام تركيا الحديثة - أن ترسل له قوات روسية لمساعدته .... وزاد الاتصال بين الدولتين ، وتعمقت صلة الترابط بينهما بواسطة المعاهدة التى عقدت فى ١٦ مارس سنة ١٩٢١ م ، والتى قررت مصير أرمينية ، بتقسيمها بين تركيا وروسيا .

احتلت روسيا - طبقا لنصوص هذه المعاهدة - جزءا من أرمينية ، على الرغم من اعلانها فى البيان الأول الذى أذاعته الحكومة البلشفية أن تكفل حرية شعب أرمينية فى تقرير مصيره السياسى عن طريق استفتاء شعبى حر .

كان هناك شبه كبير بين هذه المعاهدة والمعاهدة التى أبرمتها روسيا مع ايران ، بل تكاد تكون الحروف واحدة ، وركزت فيها - كما كان الحال فى المعاهدة مع ايران - على كلمات رنانه مثل : الحرية والاستقلال ، وحرية تقرير المصير ...و...و... الخ .

حاولت روسيا اضرام نار الحركة الشيوعية داخل تركيا ، فكلفت عملاءها بتأسيس الحزب الشيوعى التركى ، وقدمت لهم مساعدات مالية كبيرة ، غير أنهم اصطدموا بالحقيقه التى غابت عن اعينهم ، وهى ان الفلاحين الأتراك محافظون ، يتمسكون بالتقاليد الاسلامية تمسكا لا يسمح لهم بالتجاوب مع شعارات الثورة الاشتراكية الواردة من موسكو ، كذلك لم يكن رجال السلطة الجديدة مستعدين لتقبل مثل هذه الشعارات ، ذلك أنهم - وان كانوا قد ألغوا الخلافة ومضوا بالدولة الى طريق بعيد عن الاسلام - لم يكونوا على استعداد لاعتناق ايديولوجية تنكر وجود الله علنا ، وتتخذ الالحاد السافر طابعا خاصا لها .

لم تتراجع روسيا كلية ، بل هى تتربص لتحويل تركيا الى دولة ماركسية ولولا دخول تركيا فى حلف شمال الأطلسى ، لشهدت البلاد تحركات أوسع لعملاء الماركسية الالحادية .

الاسلامى ، فقد استغلت الحركات الوطنية ، التى هبت فى البلاد العربية، للمطالبه بالاستقلال ، فسعت الى اقامة ترابط بين حركات التجديد والاصلاح الوطنية ، وبين الحركات الشيوعية ، وأعطت الاشارة لعملائها الشيوعيين ، من مواطنى تلك البلاد ، بأن يتحركوا بحرية ، ودون توقف ، فليست هناك مواقف دولية تجبرهم - كما هو الحال مع السلطة المعترف بها دوليا - على الحد من نشاطهم ، فهم ليسوا حكومات ، أو منظمات دولية ، ملتزمة بقانون ، وقواعد دولية معينة . تحرك هؤلاء طبقا لأوامر روسيا ، وبمساعدتها ، واشتبكوا مع الاستعمار آملين أن يهزوا أرض الشعوب الاسلامية - عن طريق هذا الاشتباك - ويلينوها ، ويحدثوا بها شقوقا وفجوات ، تكون صالحة لوضع بذور الثورة الاشتراكية .

استخدمت موسكو هذا الاسلوب فى شمال افريقيا ، فنجحت فى ارسال مقدمات الغليان الاشتراكى ، ولكى لا يظهر الشيوعيون بمظهر ، قد ينفر المسلمين منهم،فمارسوا نشاطهم تحت راية القومية العربية ، لأنهم رأوا أنهم يستطيعون تحت هذه الراية مخاطبة العربى - الذى يتمسك بالاسلام ، وبتعاليمه ، تمسكا لا يعرف المرونة ، ولا يميل الى المهاونة مع أعدائه - بأسلوب يؤثر فيه ،لأنه ينظر الى الشيوعى على أنه رجس ودنس ، وينبذ الشيوعية المطبوعة فى موسكو ، لأنها تنكر وجود الله ، وتعمل على تخريب بناء الأسرة والقضاء على السيادة الأبوية المطلقة .

لم يختلف الوضع فى فلسطين ،فقد بدا للسوفييت أنها مكانا مناسبا للقفز منه على البلاد الاسلامية المجاورة ، ولم يكن هذا راجعا الى أن هذا البلد كان بؤرة قلاقل منذ الحرب العالمية الأولى فحسب ، بل رأت موسكو أيضا فى اليهود الشرقيين الذين هاجروا الى فلسطين ، خامة بشرية تصلح لتلقى الأفكار الشيوعية ،فلديهم من الصفات مالا يتعارض مع اعتناقها ، ونشر تعاليمها بين سكان هذه المنطقة .

وعندما اشتد النزاع بين العرب واليهود ، حاولت موسكو أن تكسب أتباعا لها فى صفوف العرب ، وكانت تعتقد أن الفلاح العربى الفقير ، حقلا مناسبا لبذر بذور الاشتراكية ، فتصورت أنه انسان يمكن اقناعه بتعاليم الشيوعية ، ولم

يتمسكون بدينهم ، ويرتبطون بتعاليم الاسلام ، ويتصدون لكل اغراءات موسكو ، وكان ذلك هو الصخرة ، التى تحطمت عليها محاولات الشيوعيين ، للنفوذ الى المجتمع الاسلامى .

وعندما ازدادت حدة النزاع بين العرب واليهود ، بدا لموسكو أن الوقت قد حان لتنظيم أتباعها فى فلسطين فى جناحين متباعدين :
أحدهما يتخذ طريقه بين اليهود
والآخر بين العرب

وسار النشاط فى هذين الفرعين منفصلا تمام الانفصال ، وبشعارات مختلفة ، فقد كانت الشعارات عند اليهود هى الاشتراكية ،أما عند العرب ، فقد كانت الشعارات هى التحرر الوطنى .

وعندما الغى الانتداب البريطانى ، وطرحت المسألة على هيئة الأمم المتحدة ، ظنت موسكو أن الأمل فى قيام الاشتراكية فى الدولة اليهودية الجديدة ،أقرب الى التحقيق منه فى دولة عربية فى فلسطين ، فانحازت فى المناقشات الى جانب اسرائيل ، وهاجم مندوبها الدائم فى الامم المتحدة - وكان يومئذ "أندريه جروميكو" وزير خارجيتها الحالى - العرب بألفاظ يعف لسان رجل الشارع العادى ، عن التلفظ بها ، فضلا عن مندوب دولة كبرى ، فى هيئة دولية .

ولا ينبغى أن ينخدع المسلمون بما تقدمه روسيا لبعض الدول العربية من مساعدات عسكرية ، فليس القصد منها أن نستعملها فى استرداد فلسطين ، بل - وهذا هو السبب الرئيسى - مساعدة النظم المتطرفة على البقاء فى الحكم ، حتى يتسنى لعملاء روسيا ، فى ظل هذه المساعدة ، بلشفة المجتمع، استعدادا للتحول الى الماركسية الالحادية . ومن الأدلة على ذلك ، ما قاله زعيم الشيوعيين فى ايطاليا ،لأحد المسئولين العرب - أثناء قيامه بجولة فى أوروبا - ردا على شكوى المسئول العربى له ، بركود ، وتجميد الوضع فى المنطقة ، وكان ذلك قبل حرب رمضان ، فقد قال الزعيم الشيوعى الايطالى : " لماذا تقلقون من هذا الوضع ، انه يساعد على تعميق بذور الاشتراكية فى المجتمع . "

من !! على لسان سفير الاتحاد السوفييتي في القاهرة .

اذا كان رجال السياسة عندهم يرتكبون هذا الإفك صراحة ، على الرغم من العرف الدولي ، الذي يقضي بالحرص والتحفظ في المجال الديبلوماسي فما بال الآخرين الذين يحملون سمومهم لنشرها بين المجتمع !!!!

كذلك أوقفت روسيا شحن الأسلحة وقطع الغيار ، والحرب دائرة ، وطلبت الثمن نقدا ، وكانت تظن أن الدول المشتركة بقواتها في الحرب ، ستعجز عن الدفع ، فتُرغَمَ على تقديم تنازلات ، تقوى مركز الشيوعيين ، وتقربهم من السيطرة على السلطة سيطرة كاملة .

لا أريد الاسترسال في تناول نشاط الشيوعيين وتحركاتهم بالشرح والتحليل داخل كل قطر عربي على حدة ، لأن ذلك يطول شرحه ، ولذا فسأعرضه من الزاوية المشتركة بين الأقطار العربية ، التي ساعدت الظروف الدولية - ، على وقوعها بين مخالب الأخطبوط الشيوعي ، فاكتوت - ولا زال بعضها يكتوى - بناره .

كانت المنطقة العربية مسرحا لحركات تحررية - على مدى المائة سنة الماضية - ، اتخذت طابع القومية شعارا لها ، تقليدا لما حدث في أوروبا في عصر القوميات ، وتجنبا للوقوع في صراع ديني ، قد يعيق مسيرة التحرك نحو التخلص من الاستعمار ، الذي كان يتعقب كل انتفاضة دينية ، بطريقة أكثر شراسة ودهاء ، من أسلوب قمعه للحركات القومية ، لأنه كان يرى - بناء على تجارب سابقة - أن زعماء الحركات القومية ، أقرب اليه ، من زعماء الاصلاح الديني ، وأن كثيرا من المفكرين القوميين يميلون الى تطبيق النظم الغربية ، في مجالات السياسة والتعليم والقضاء . أما رجال الدين ، فيرفضون كل ما هو غربي رفضا باتا ، لا يفرقون في ذلك بين ما هو متصل اتصالا مباشرا بالتقاليد والعادات الدينية ، وبين ما من شأنه النهوض بالمجتمع والدولة في المجالات العلمية ذات الطابع الحضاري .

وعندما حصلت البلاد العربية ، على نوع من الاستقلال بعد الحرب العالمية الثانية ، مكنها من المشاركة في تسيير شئونها ، أتيح لحركات الاصلاح الديني فرصة الظهور على مسرح الأحداث ، فتكونت الجمعيات الدينية

فقد استطاع الاتجاه الدينى رغم حداثته أن يكتسح الساحة ، فاكتسب أتباعا ، كان معظمهم من الشباب المثقف ، فأصبح له كيان ووزن فى توجيه سير الأحداث على المسرح السياسى ، غير أن نشاطه لم يتعد المجال الشعبى لأنه كان بعيدا عن مراكز السلطة .

اشتد الصراع الايديولوجى بين الحركات الدينية ، وبين الحركات القومية ، وعلى رأسها حملة الأيديولوجية الشيوعية ، الذين تستروا وراء شعارات قومية ، لأنه لم يكن مسموحا لهم بتكوين حزب شيوعى ، غير أنهم كانوا يعلنون عن ولائهم للسوفييت ، وتعاطفهم مع قادة الالحاد على رؤوس الأشهاد ، فقد كتب أحدهم - وهو من خريجى الأزهر - مقالا يرثى فيه "ستالين" تحت عنوان :
" طبت حيا وميتا يا ستالين "

ظهر هذا المقال فى جريدة كبرى ، تصدر فى عاصمة بلد اسلامى ، فكان دليلا على أن الصراع الايديولوجى ، انتقل الى مرحلة المواجهة السافرة بين التيار اليمينى ، والتيار اليسارى - الذى دعا الى الشيوعية بأسلوب أكثر وضوحا من ذى قبل - ، وأن صراعا دمويا يوشك أن يقع بين الجانبين ، للوثوب الى مراكز السلطة ، التى كانت تهتز تحت أقدام الحكام آنذاك .

ولكن سرعان ماقفز الى السلطة شباب ، لم تعرف هويتهم بالضبط ، اللهم الا ما كانوا يحملونه من شعارات : الاستقلال ، الحرية ، الوحدة العربية .. الخ

اشتد الصراع بين اليمين واليسار ، للاستحواذ على هؤلاء الحكام الجدد ، فرأت القوى العظمى - شرقية وغربية - أن الفرصة سانحة ، للقضاء على التيار اليمينى - الذى يهدد مصالحها فى المنطقة - بيد الوطنيين أنفسهم ، فركزت المخابرات الأجنبية نشاطها على الوقيعة بين زعمائه ، وبين الحكام الجدد ، حتى وقعت الواقعة ، فأصيب التيار اليمينى بنكسة حادة ، أخرجته من ساحة النضال ، ويلخص بعض المفكرين الأسباب الرئيسية لنكبة التيار اليمينى فيما يلى :

١ - نقص خبرة قادته ، وقلة تجاربهم فى المجال السياسى .
٢ - نشوء الخلاف بينهم ، ويرى بعض الخبراء أن هذه الظاهرة كانت نتيجة لتسرب عناصر انتهازية ، الى داخل صفوف القيادة ، ظنا منها أن هذا التيار ، أصبح قاب قوسين أو أدنى من تولى السلطة .

٤ - اجماع المعسكرين ، الشرقى والغربى على ضرورة القضاء على التيار اليمينى ، لأن كلا منهما وجد فيه خطرا على وجوده فى منطقة العالم الاسلامى .

رأى الحكام الجدد أن الاصطدام بالقوى الغربية ، هو الورقة الأخيرة ، التى تحميهم من غضب الرأى العام فى بلادهم - لأن الشعوب تسير وراء من يعلن النضال ضد المستعمرين الذين أذاقوهم أصنافا من العذاب - فأقدموا على هذه الخطوة رغم ما فيها من أخطار قد تطيح بهم .

وعندما رأوا العواصف تهب عليهم من كل جانب ، اتجهوا الى اليد الأخرى الممدودة لهم ، يد روسيا ، فاستعانوا بها فى المواجهة مع الغرب . وكانت مساعدة روسيا فى بادئ الأمر ، مقصورة على التأييد ديبلوماسيا ، فى المجال الدولى ، وعلى توريد بعض الأسلحة ، التى تساعدهم على حماية أنفسهم ، من الانتفاضات الشعبية .

وعندما لاحظ الحكام السوفييت ، أن خط الرجعة ، قد قطع على هؤلاء الحكام ، وأنهم أصبحوا فى موقف يتعسر معه مهادنة القوى الغربية ، بـــدأوا يتقدمون على صعيدين :

- دولى ؛ بعقد المعاهدات والاتفاقيات السرية ، التى تحكم ربط هـــذه البلاد بعجلة الاتحاد السوفييتى .
- وشعبى ؛ بالضغط على السلطة ، لتسمح لعملاء الشيوعية بالتحرك بين الجماهير بحرية ، ولتمكينهم من تولى المناصب الحساسة ، فى مجالات التربيه والاعلام ، والمؤسسات الاقتصادية ..... الخ

استغل عملاء الماركسية وضع العلاقات مع الاتحاد السوفييتى ، فتغلغلـــوا فى طبقات المجتمع عن طريق السيطرة على وسائل الاعلام ، ولكنهم لم يصادفوا نجاحا كبيرا ، اللهـم الاالتأثير على حفنة قليلة فى الأوساط العمالية ، وبين شباب الجامعات ، فاضطروا الى ايهام العامة - وللأسف وقع فى هذا الفـــخ بعض المفكرين وعلماء الدين - بأن الشيوعية لا تحارب الاسلام ، وكانت هـــذه مجرد مناورة ، تخفى وراءها الحقيقة الصارخة ، فالشيوعية كانت - وما زالت ، وستظل - تحارب الاسلام ، لأن فلسفتها تقوم على انكار وجود الله - كما شرحنا ذلك سابقا - ، ولا زال دعاتها ملتزمين بهذه الأيديولوجية ، التى وضـــع

فى كثير من بلاد العالم الأسلامى ،فقد أطلعنىأحد الطلبة فى جامعةاحمد بللو بنيجيريا ، على نسخة منه ، وأخبرنى بأنه يباع فى العاصمة " لاجوس" بقلم " كليموفيتش" تحت عنوان :

" الاسلام : نشوءه ومستقبله " جاء فيه :

" ان شعوب الاتحاد السوفييتى العائشين مع بعضهم ، بمودة وأخوية ، تغلبوا على التأخر الاقتصادى والثقافى ، الذى كان مسئولا عليهم فى الماضى ، وأحرزوا تقدما اقتصاديا لم يسبق له مثيل ، وثقافة زاهرة شأن البلاد الاشتراكية .

وقد تغير أيضا المظهر الأدبى للشعب السوفييتى ، فأصبحت تعاليم " ماركس" و " لينين " العظيمة ، الخاصة بطبقة العمال أساسا - لا ينقض- لفكرتهم عن الهيئةالاجتماعية . ولكن لا يمكن الانكار بأنه لا يزال راسخا فى ذهن بعض الناس بقايا من النظام الاستغلالى ، التى لا تلائم المظهر التقدمى للشعب السوفييتى ، المستند على العلم والاختبار . ان محاربة هذه البقايا ، التى لا تختص بطبقة معينة من الشعب فى بلادنا ، هى جزء لا يتجزأ من التعاليم الشيوعية للعمال ، ولها أهمية عظمى فى وقت تتحول فيه تدريجيا من الاشتراكيه الى الشيوعية . ومن ضمن هذه البقايا ،الخرافات الدينية المخالفة للعلوم .

" ويمثل الدين الاسلامى احدى هذه البقايا الدينية المحافظ عليها من قبل جزء من سكان جمهوريات آسيا الوسطى فى القوقاز ، والقفقار، وتاتارية ،وباشكيرية وكذلك فى بعض مناطق الجمهوريات السوفييتية ، الفيدرالية الاشتراكية الروسية .

" وينتشر هذا الدين فى الخارج ، وعلى الأخص فى عدد من البلاد الآسيوية والافريقية . "

ولم يكتف " كليموفيتش" بهذا ، بل هاجم القرآن والسنه النبوية هجوما مباشرا حيث قال :

" يعتبر القرآن والسنة ، والشريعة كتب الاسلام المقدسة ، وقد ألفت هذه الكتب فى القرون الوسطى ، فى زمن سيادة الاقطاع ، وتبرز هذه المؤلفات ، الجو الطبقى ، وظلم الشعوب المغلوبة ، وليست هذه المؤلفات ، الدليل الوحيد على الماضى الأليم ، اذ لا تزال مبادئها ، تطبق كقوانين فى البلاد ، التى تتخذ الاسلام دينها الرسمى ."

ويرمى بالتأخر كل من يتمسك بالتعاليم الدينية :

" ويجب الملاحظة هنا بأن أى دفاع عن الأفكار الدينية ليس الا مجهودا لمعاضدة التأخر الاجتماعى ، الذى أصبح - أو على وشك أن يصبح - من ذكريات الماضى

وادعى أن الايمان بالله لا قيمة له فى المجتمع :

" ولا تتفق مع التقدم الفكرة القائلة ، بأن الاعتقاد بالله له قيمة فى الحياة الاجتماعية ، وأوضح " لينين " المعنى الحقيقى لهذه البيانات ، فقال :

" ان فكرة وجود الله ، كان مفعولها دائما ، اخماد الحس الاجتماعى ، وتبديل شئ حى ، بشئ ميت ، وما هى الا عبودية من أسوأ الأنواع ، ولم تربط فكرة الله الفرد بالمجتمع ، بل قيدت الطبقات المظلومة بالاعتقاد بالهية الظالمين ."

ثم أفصح عن مراده ، ألا وهو بيان أن الاسلام يقف حجر عثرة فى سبيل نشر مبادئ الشيوعية :

" ويستنتج من دروس تاريخ ظهور الاسلام ، وماهيته الاجتماعية بأنه كغيره من الأديان الأخرى ، عبارة عن فكرة محافظة ، تناقض العلوم ، وتغل أيدى الناس عن النشاط والاقدام على العمل المثمر ، وتعارض نشر المبادئ السوفييتية الحيوية فى العالم ، أى " الماركسية " ، و " اللينينية " ، ويمكن نسب تلك المميزات الى جميع عقائد وطقوس الاسلام ، وأعياده العديدة ، وصيامه وزياراته للأماكن المقدسة ، وعبادة الأئمة ، وغيرها من العادات . وتتعلق جميع هذه القواعد والعادات ببقايا الآراء الشرقية القديمة ، القائلة بعزل الانسان عن الانسان ، والمشبعة بالفكرة الضالة ، المضرة ، بأن الله هو الذى يضمن برحمته حياة هادئة ، ومرفهة للبشر ، لا اجتهاد الانسان . "

وأوضح أن الشيوعية مستمرة فى كفاحها ضد الدين :

" ويستمر الحزب فى الكفاح ضد المعتقدات الدينية ، باعتبارها منافية للفكرة العلمية عن الدنيا .

" ومن المستحيل احراز التقدم الحقيقى ، قبل التغلب على البقايا الدينية ، وغيرها من الآراء ، التى أصبحت بالية ، وكذلك النظريات ، التى تضلل ذهن الانسان .

" ان الغاء الدين ، الذى ما هو الا سعادة وهمية للناس ، عمل ضرورى لجلب

السوفييتي ، فقد تم ابعاد الشباب عن الدين كلية ، فأصبح ملحدا كله بلا استثناء . يقوم أحد الشيوعيين ، الذين كفروا بهذا المذهب :

" .... كان التنظيم الثالث ، الذى كنت عضوا فيه - كما كان ينتمى اليه كل أعضاء منظمة الشباب فى المعهد - يسمى "اتحاد الملحدين المناضلين" . فقد هذا التنظيم أهميته كلية ، وأصبح لا لزوم له .... فقد كانت مهمة هذا التنظيم بالنسبة لنا - أعضاء منظمة الشباب ، والطلبة - لا مكان لها من الناحية العملية ، فقد تربينا ، دون أن نتلقى درسا دينيا ، فعقولنا خاوية من هذا الجانب . وأقل ما يتصور أن مهمة هذا الالحاد لم يعد لها وجود ، إننى لم أقابل - فى مدى العشر سنوات التى عشتها فى الاتحاد السوفييتي - انسانا واحدا من جيلى ، ليس ملحدا . "

وانما يقصد به محاولة نشر الالحاد فى البلاد الاسلامية عن طريق تداول مثل هذه الكتب بين الشباب ، الذى وقع فريسة الدعاية الشيوعية ، التى أوهمته فى بادىء الأمر أن الشيوعية لا تحارب الاسلام ، حتى اذا ما انخرط فى التنظيم ، واستولت الدعاية البراقة على مشاعره ، أعطيت له هذه الجرعة ، لتفصله كلية عن تقاليده ، وتدفع به الى دوّامة الماركسية . وليس من السهل عليه التراجع ، كما أنه ليس من اليسير على نفسه الكفر بالماركسية ، اذا أظهرت له الأيام ، أن واقع تطبيقها يخالف ما جذبه اليها من شعارات .

لقد انطلق مؤلف الكتاب - فى هجومه على الاسلام - من مبادىء ، اتخذتها الدعاية الشيوعية ، وسيلة لجذب الشباب الى صفوفها ، وهى :
التقدمية ، والعدالة الاجتماعية (أوالغاء الطبقات) ، والحرية ، والوعد بغد أفضل (أى جنة على هذه الأرض) .

فاذا ما بينا خداعها فى ذلك ، ظهر افتراء " كليموفيتش " وتضليله :

التقدميــــة

يدعى الشيوعيون أنهم " تقدميون " ، ويرمون كل من يعارضهم بالتأخـر والتخلف ، وقد تأثر كثير من شبابنا المعاصر بهذا المبدأ . غير أن الحقيقة خلاف ذلك ، لأن الظروف التى دفعت " ماركس" الى التفكير فى هذا المذهب ،

- ونقص أجور العمال ، وفقد الرعاية الاجتماعية والصحية لهم ،فعاشوا في جهل مطبق ، تفتك بهم الأمراض جسمانيا ، ويهلكهم الحرمان ،وضيق العين نفسيا حين يرون الدنيا في بهجتها لدى أصحاب المصانع ، ويتطلعون الى المال وهو يسيل بين أيديهم - ذلك المال الذى حصل عليه هؤلاء بمجهود العمال الشاق - دون أن يحركهم الضمير للضيق والاهمال ، والشقاء ، الذى يعيش فيه العمال .

استغل " ماركس" هذه الظروف ، فدعا الى اثارة حقد العمال على أصحاب رؤوس الأموال وحرض على الاضرابات ، وحث على الانقلاب والاطاحة بأصحاب رؤوس الأموال في الصناعة ، وبالنظام السياسي في الحكم ، الذى يحميهم ، ويحمي استغلالهم .

فهل يسود هذا الوضع في مجتمع غرب أوروبا اليوم ؟

" ان التقدم الاجتماعي الذى طرأ على المجتمع الصناعي في الغرب في القرن العشرين - وبالأخص منذ بداية النصف الثاني منه - قلل كثيرا من الفجوة في العيش ، والمتعة بالحياة والنظرة الى الانسان التي ساءت على عهد فلسفة ماركس .

" فزيادة الأجور والخدمات العامة المتنوعة ، وتحديد ساعات العمل اليومي ، والأسبوعي ، والاجازات السنويه ، والتأمين ضد العجز والشيخوخة ، وفرصة التعليم في المراحل المختلفة ، التي تهيأ لأبناء العمال في المصانع ..... وغيرها تكاد تجعل المصنع شركة بين العامل وصاحبه ، وليس بينهما فارق الا أن أحدهما يستخدم كل طاقاته في الادارة ، والثاني يستثمرها في الأنتاج ......

وان التقدم التكنولوجي منذ الحرب العالمية الثانية ، كاد لا يدع لشقاء الانسان بكده في العمل ، وباستهلاك طاقاته البدنية مكانا ، وأخذ يضع الانسان اليوم في وضع صاحب الحركة بعقله قبل قدميه ، وبتفكيره وعلمه وفنه قبل يده وساعده ....

" وقد حلل كاتب ألماني مدى تأثر العمل بالآليه في الصناعة في المجتمع التيكنولوجي المعاصر وتساءل :

فى عدد الموظفين الفنيين ، وان كانت ستنقص من عدد العمال العضليين ."

" واذا كانت نتيجة التوسع فى المجال الآلى فى الصناعة والخدمات معا ، هى زيادة الثقافة الفنية لمواطنى المجتمع المعاصر التيكنولوجى ، وبالتالى زيادة عدد الموظفين عن العمال ، وانكماش الثقافة العمالية التقليدية المحدودة ، وبالتالى انكماش عدد العمال اليدويين ... فان ذلك ينذر ببدء انتهاء عهد النقابات العمالية ، التى جاء تأسيسها عقب الأزمات المتكررة بين العمال ، وأصحاب رؤوس الأموال ، على عهد الثورة الصناعية ، منذ بداية القرن التاسع عشر . ومعنى ذلك أن فلسفة " العمل " التى قامت عليها الفلسفة الماركسية ، ونظام الحكم الماركسى - اللينينى فيما بعد ... ستفقد أهميتها فى المجتمع المعاصر وستنتهى قيمتها كلية عند انتشار الآلية فى الصناعة ، والخدمات فى مجتمع الغد .

والاشتراكية فى نظام الحكم التى تعطى السيادة للعمال التقليديين ، وتعدهم بالحكم فى المجتمع .... لا يصبح أمرها محتما ، ولا تصبح سيادتها ضربة لازب فى المجتمع العلمى ، كما تبشر الماركسية ودعاة الانقلاب والثورات الاجتماعية"

ان " كارل ماركس" قد ربط تفكيره الفلسفى بأوضاع القرن التاسع عشر ...... فاذا نودى اليوم فى المجتمعات الماركسية ... (أو فى المجتمع الاسلامى) بـ (التقدمية) فى نظام الحكم عن طريق التبشير بالقوة العمالية العالمية ، وأيضا ثورة الطبقة العاملة ، فذلك ينطوى على دعوة الى رجوع بـ (التطور الاجتماعى) والتيكنولوجى ، والوقوف به عند حد القرن التاسع عشر ، حتى يمكن أن ينكشف الظلم فى استغلال العامل من صاحب العمل ، ويبدو البعد فى الهوة السحيقة فى وضع كل من العامل ، وصاحب رأس المال فى الحياة ، والشقاء ، والاستمتاع فيها .... وعندئذ فقط يكون لفكر ماركس مكان فى حل ما بين العامل ، وصاحب رأس المال من مشاكل ، هى مشاكل الظلم والانحراف فى استثمار المال .))

فاذا وصف (كليموفيتش) - والماركسيون - التمسك بالدين بأنه " رجعية وتخلف " فلا ينطبق هذا الوصف الا على الماركسية ، لأن " صلاحية الدين لم ترتبط بوقت معين ، ولا بمشاكل لا تتكرر ، اذ هو للطبيعة ، بما لها من خصائص أينما وجدت ، وفى أى وقت كانت ، وهدفه أن يحول دون الانحراف فى السلوك ، سواء فى المال ، أو فى العلاقات البشرية ، بينما الفلسفة

الماركسية قد ارتبطت بمشاكل اقتصادية معينة ، وأوضاع اجتماعية معروفة ، خلقتها ظروف خاصة ، ليس لها طابع الاستمرار ، وهى ظروف القرن التاسع عشر ، والثورة الصناعية التى تبدلت تماما فى القرن العشرين " .

من أحق بوصف الرجعية ، أهو الماركسى ، الذى يدعو الى فلسفة ، ارتبطت بأوضاع انتهت ، أم المتدين ، الذى يتمسك بتعاليم تتعلق بتقويم أخلاق الانسان ، والانسان هو هو لم يتغير عن الماضى ، ولن يتبدل فى المستقبل ؟

الغـــاء الطبقـــات

من الشعارات التى ينادى بها الماركسيون ، أن الفلسفة الماركسية ، تدعـــو الى نقل الملكيات الى الدولة ، كى تزول الفوارق بين الأفراد ، فيتساوى الكل فى الانتفاع بالدخل القومى .

وقد جذب هذا الشعار عددا كبيرا من الطبقة العمالية والأوساط الفقـــيرة فتعاطفوا مع دعاة الماركسية - أو انضموا اليهم - فى البلاد العربية ، الا أن واقع البلاد التى تطبق الماركسية ، يكشف النقاب عن الخداع فى حمل هذا الشعار ؛ فالطبقية موجودة فى الاتحاد السوفييتى ، بصورة أفظع مما هى فـــى المجتمع الرأسمالى ، فليس لأصحاب الطبقة الدنيا من فرص فى الحياة مثلمـــا لأصحاب الطبقات الأعلى ؛ فلا يتساوى أولادهم فى مجال التعليم ، يصـــف " ليونهارد " حالة الطلبة فى معهد المعلمين العالى فى موسكو ، بعد أن صدر قرار فى ٢ أكتوبر سنة ١٩٤٠ بقطع المنح الدراسية عنهم أثناء الحرب ، فيقـــول :

" رأيت فى تلك الأيام عيـــونا باكية ، اذ حتمت تلك الظروف على كثير مـــن الطلبة أن يفارقونا . وكان الموقف الدرامى ، الذى تأثرت به بنوع خاص ، ودان طالب أحمر الشعر ، ينحدر من أسرة فقيرة ، تشتغل بالزراعة ، فقد كان مجتهدا فى دراسته ، يحرص أشد الحرص على تحصيل العلوم ، والقيام بالواجبات الدراسية لأنه كان يتمنى أن يصبح مدرسا لتلاميذ المرحلة المتقدمة فى المدارس ، وكانت تبدو عليه - قبل صدور هذا القانون - علامات السرور ، كلما تذكر أنه أصبح قاب قوسين أو أدنى من تحقيق أمله .

"ولكن لم يكن الطالب الوحيد ؛ فقد كان عدد الطلبة الذين يتركون المعهد - لأنهم من أسر فقيرة لا تستطيع أن تصرف عليهم - فى ازدياد مستمر . والعجيب أنه لم يبق فى المعهد الا أبناء وبنات الطبقة الحاكمة ، والضباط والموظفين الكبار

ثم بين أن تولى الوظائف العليا فى الاتحاد السوفييتى ، كان مقصورا على

خريجى المعاهد العليا ، وبصدور هذا القرار ، أصبحت - تلقائيا - مقصورة على أبناء الطبقة الحاكمة :

" فالطبقة البيروقراطية الحاكمة ، التى تكونت منذ نهاية العشرينات ، وثبتت سلطتها بحركة التطهير - امتدت من ١٩٣٦م - ١٩٣٨م - التى أطاحت بـ " المجموعة القديمة " ، بدأت فى عام ١٩٤٠م فى اتخاذ تطبيق وسائل احتكار السلطة ، ومنع دخول " الطبقات الأخرى" لمشاركتها فى الحكم ، وبهذا خطت الخطوة الأولى ، نحو جعل السلطة ، والامتياز الطبقى وقفا على أبنائهم يرثونه من بعدهم . "

بل الامتياز الطبقى فى المجتمع الشيوعى ، أقصى ما يتصور العقل وجوده فى أى مجتمع آخر ، فبينما تذكر الأنباء أن " تشرشل" كان يعيش أثناء الحرب مثل مواطنيه ، ينقل لنا " ليونهارد " صورة أخرى عن حياة الطبقة العليا فى الاتحاد السوفييتى :

" لم يشعر أعضاء الحزب ، ولا كبار موظفى الحكومة ، ولا العاملين فى المؤسسات الاقتصادية بنقص فى المواد الغذائية فى بيوتهم فى هذا الوقت العصيب ، بل كانوا يعيشون كما لو كنا فى حالة السلم ، لأنهم كانوا يحصلون على كل شئ من المحلات المتوارية خلف الكواليس .

وبجانب هذه المحلات المقصورة على " الطبقة الممتازة الخاصة " ، وجد أيضا أماكن خاصة للحصول على الحاجيات المعيشية للمهندسين ، ونساء الضباط ، وأفراد الطبقة المتوسطة المفضلة " ، الذين لم تفرض عليهم حياة مثل حياة الجماهير ، ولكن وضعهم الطبقى فى الحزب لم يمكنهم من الوصول الى المنابع ، التى توزع على " الطبقة الممتازة الخاصة " .

أما بقية الشعب ، فكان مجبرا أن يعيش على أى كيفية ...))

كذلك ظهرت المعاملة الطبقية فى الاتحاد السوفييتى مع عملاء الماركسية من الدول الأخرى ، فقد تكوّن ما يسمى بـ (جبهة الاحزاب الشيوعية العالمية) ، وعومل أعضاؤها - وهم من جنسيات مختلفة - معاملة متفاوتة :

((.... وكما وزع هؤلاء على أماكن السكن طبقا لطبقاتهم الحزبية ، وظهر الفرق واضحا بين طبقة وأخرى ، كذلك اختلفت معاملتهم بالنسبة للخدمات الأخرى ، فكل الأعضاء ، الذين كان نشاطهم داخل الجبهة فى المقر الرئيسى كانوا يحصلون على ثلاث وجبات يوميا فى مبنى العمل ، وهو قصر الجوالة سابقا

والزعماء الكبار ، الذين كانوا يقيمون في الفندق الجميل (بشكيرية) ، كانوا يحصلون - بالاضافة الى الوجبات الثلاثة - على طرد كبير ، ملئ بأصناف الفواكه ، والحلوى ، ويرسل الى محل اقامتهم .

أما الباقون من أعضاء الجبهة ، فيحصلون على ما يحتاجون اليه من أغذية ، من محل خاص بهم ، يوجد في الدور الأرضي لفندق " بشكيرية " ، يحصلون على الوجبات الثلاثة ، وعلى مقدار ما يأخذه عامل في بطاقة التموين ، وبين الحين والحين يوزع عليهم بعض المأكولات الخاصة .

كان هذا وضع العاملين في جبهة الأحزاب الشيوعية العالمية ، كل على حسب قيمة ما يقدمه في العمل السياسي ، نظام التقسيم الى طبقات في كل شيء ، في السكن والأكل ...و ...و .. الخ طبقة تعلو الأخرى ، حتى القمة .)

لم يكن هذا التمييز قاصرا على المجتمع السوفييتي ؛ ولكنه يطبق في كل دولة ، قلدت روسيا في تطبيق الشيوعية ، يصف الشيوعي القديم (لونهارد) التمييز بين طبقات الحزب الشيوعي في ألمانيا الشرقية فيقول :

(كان تمييز القياديين ، تفضيلهم على الآخرين ، احدى المساوئ الكبرى ، والسم الدائم " للمفض السياسي " ، فلم أعرف أنا وأصدقائي - الذين نشأنا في الاتحاد السوفييتي - هناك شيئا آخر ، ولم نر في بادئ الأمر غضاضة في التفضيل المادي لقادة الحزب في الدولة ، وفي المجالات الاقتصادية : نعم ! تبين لي قبل ذلك - في عام ١٩٤٢ م في " كاراجندا " - أن من الظلم أن يكون هناك في زمن الحرب ، فرق شاسع ، فالجماهير العريضة من العمال - وكذلك أيضا كثير من أعضاء الحزب - يعانون من ألم الجوع القاتل ، بينما لا يشعر بعض القياديين بأي نقص في المواد الغذائية عندهم ، ولكني اعتبرت تفضيل القياديين بأنه مبالغة فقط ، وليس هو الحقيقة بذاتها .

دفعتني مصادفة الى التفكير في هذه المظاهر ، كنا في أكتوبر سنة ١٩٤٥ م في بداية الحملة الدعائية الكبيرة للوحدة (وحدة الأحزاب الألمانية في حزب الاتحاد الاشتراكي الألماني) . كنت آتيا من مكتبي ، وأردت الذهاب الى صالة الطعام في اللجنة المركزية ، فاستوقفني على السلم رجل حسن المظهر والملبس ، متوسط العمر ، قائلا :

- لا تؤاخذني أيها الرفيق ! هل تعمل هنا ؟

- نعم ! في قسم الدعاية السياسية .

- هذا ما أريده بالضبط ، فأنا عضو فى الحزب الشيوعى فى ألمانيا الغربية ، جئت الى هنا بناء على دعوة وجهت الىّ ، وقد تسلمت منذ لحظة " ماركة " للأكل ، ولكنى لا أعرف أين صالة الطعام !

- هذا يتوقف على نوع " الماركة " التى معك .

نظر الىّ مندهشا ، ثم أطلعنى على نوع " ماركته " ، لقد كانت واحدة من الطبقة رقم ٣ ، وهو نوع يعطى " للعاملين غير المهمين " .. فشرحت له كيفية الوصول الى مكان تناوله الطعام .

- أخبرنى ! هل يوجد أربعة أنواع مختلفة من " الماركات " ؟

- طبعا يوجد أربعة أنواع مختلفة من الماركات ، تبعا لعمل القيادى ، فالاثنان الأخيران هما للعمال الفنيين والمستخدمين .

- نعم ! ولكن ...... أليس الكل رفقاء ؟

- طبعا ! أيضا عاملات النظافة ، والسائقون ، والحراس ، كل أولئك أعضاء فى الحزب ، انضموا اليه بعد اختبار .

نظر الىّ فزعا ، ثم قال :

- ماركات مختلفة ، وطعام مختلف .... ولكن الكل رفقاء ! ! ! ! !

أدار ظهره دون أن يجيبنى ، وذهب ... وبعد لحظات ، سمعت صريخ الباب الرئيسى ... لقد غادر مبنى اللجنة المركزية .

اتجهت الى صالة الطعام معنا التفكير فيما حدث ، فاخترقت الحجرات التى تتناول فيها الطبقتان رقم ٣ ، ٤ - وهما السفليتان - طعامهم ، فاعترانى شعور بالانقباض ، عندما فتحت باب القسم الخاص بطبقتنا . فهنا - على المناضد المغطاه بالمفارش البيضاء - يتناول العاملون من الطبقة العليا طعامهم المكون من أصناف متعددة ..... غريب أنى لم ألحظ ذلك قبل اليوم قط ! !

ثم يستطرد فى وصف حياة القادة فى " فللهم " الفخمة ، وفى بيان الطبقية فى الامتيازات المادية ، التى تقدم للقياديين فى الجهاز الادارى ، والاقتصادى ، وللعلماء ، والاخصائيين ، والشعراء ، والفنانين ، ويعلق على ذلك بقوله :

" لم يصدر بيان رسمى بذلك اطلاقا ، فاذا تحدث المرء مع " أحد المخلصين للينينية " حول هذا الموضوع ، يجيبه ببساطة : " حماة الدولة ! فالرفقاء يكلفون بعمل كبير ، ولذا فمن المسلم به أن يتخلصوا من الهموم المادية . "

من الممكن أن يكون هذا صحيحا ، ولكن ... ألم يكلف العمال فى المصانع والمناجم ، والقياديون من الطبقة الدنيا " الذى لا يحصلون على هذه الامتيازات " أيضا بعمل شاق ، يؤدونه ببذل كل ما عندهم من طاقة ! . "

هذا هو المجتمع الشيوعى ، طبقات ، بعضها فوق بعض ، لا على أساس قوى الفرد الذاتية ، ولكن طبقا لولائه للحزب . فالدولة - وهم أفراد قلة - صادرت الأموال ، مدعية أنها ستزيل بذلك فوارق الطبقات ، فاذا بها تتحكم فى مصير أفراد الشعب ، تتخم عملاءها بالأموال ، وتترك الآخرين يصارعون البؤس والفقر والحرمان ، بعد أن سلبتهم أموالهم ، وسدت فى وجوههم طرق تحصيل الرزق .

* * *

أما الاسلام ، فقد عالج مشكلة تكديس المال بأسلوب يقضى على الطبقية ، ويحول دون ظهور الحقد الطبقى فى المجتمع ، فالمسلمون أمة واحدة :

((إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ .))

يشعر الأفراد فيها بأنهم جسد واحد ، يتألم كلٌّ لما يصيب أخاه من سوء ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

((مثل المؤمنين فى توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم ، مثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى))

ولا يقف الأمر عند الشعور ، بل هو مسئول عن تخفيف الآلام عن أخيه ، بازالة أسبابه سواء كانت نفسية أو مادية .

فأزال الاسلام التوتر النفسى ، الذى قد يحدث لبعض الأفراد ، عندما يفكر فى وضعه الاجتماعى ، يقول الله تعالى :

((إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ .))

((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ .))

ويقول صلى الله عليه وسلم :

((أوحى الىّ أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد .))

وقضى على حقد الفقير نحو الغنى ، ففرض له نصيبا من ماله ، يقول تعالى :
((ءامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ .))

ويقـــول :
(إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ . وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ .)

وتوعد الغنى الذى لا يعطى الفقير حقه من هذا المال ، فقال تعالى :
(.... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ .)

كما حرم الربا حتى لا يتحكم الأغنيـاء فى رقاب أصحاب الحاجة .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أراد الاسلام أن يجعل مستوى المعيشة متقاربا بين المسلمين ، فحارب الترف ، يقول الله تعالى :

(.... وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين .)

بل بين أن الترف قد يؤدى الى هلاك المجتمع ، يقول الله تعالى :
(واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا .)

فوجوب الزكاة ، وتحريم الاكتناز والترف والربا ، أسس يراد بها رفع مستوى الطبقات الفقيرة ، وخفض مستوى معيشة الأغنياء لتكون الحياة سعيدة بتقاربها وتناسقها .

((فتحريم الترف يوجه المال الى انتاج أكثر فائدة للجميع ، وتحريم كنزها يوجب تداولها ، وتداولها من غير ربا يؤدى الى المشاركة فيها . واذا لم يجد الناس فى الترف لذتهم وجاههم ، وجدوها فى الاحسان والبر . واذا لم يجدوا فى الكنز ضمانا لهم ، وجدوه فى ضمانة المجتمع الاسلامى المتكافل ، الذى لم يهمل أحدا ، ولم يحتقر أحدا ، واذا لم يجدوه فى الربا ، وجدوه فى لذة الكسب والمشاركة مع اخوانهم الذين يعملون فى أموالهم .))

لم تقف هذه التعاليم عند حد النصوص ، بل طبقها المجتمع الاسلامى فى

القديم والحديث والكتب طافحة بالأمثلة التى تؤيد ذلك ، وسأكتفى هذا بسرد مثالين - يتعلقان بموضوعنا - يبينان مدى تطبيق التعاليم الاسلامية فى هذا المجال قديما وحديثا ،

الأول : قال المعرور بن سويد : " رأيت أبا ذر رضى الله عنه عليه حلّة وعلى غلامه مثلها ، فسألته عن ذلك ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " هم اخوانكم وخولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم فان كلفتموهم ، فأعينوهم عليه . "

الثانى : يقول الاستاذ عبد الرحمن عزام فى كتابه "الرسالة الخالدة" :

((وقد شهدت فى بعض الجماعات الاسلامية ، التى احتفظت بتقاليد المسلمين تضامنا وتكافلا لا نظير له ، لا يتمنى المصلح الاجتماعى أحسن منه لأية جماعة بشرية . رأيت بعض قبائل (الطوارق) فى شمال افريقية يحيون حياة هذا التكافل السعيد ، فليس فيهم من يعيش لنفسه ، وانما لجماعته ، وأفخر ما يفخر به ويعتز ، هو ما يصنع لهذه الجماعة ، وأول ما لفت نظرى لحالتهم هذه أن رجلا من أهل الحضر هاجر من الفرنسيين ، ونزل بينهم فى فزّان ، فجاورهم وعاش بفضلهم ، ثم خرج يطلب الرزق ، ويريد أن يرد الجميل ، وترك أسرته فى جوار هذه الجماعة الاسلامية غير أن النحس لازمه ، ولم يستطع كسبا ، فجاءنا فى (مصراته) يستمدنا فأعناه ليعود الى أهله ، ولكنه عاد الىّ بعد نحو سنة مرة أخرى ، فظننت أنه رجع من أهله ، فقال : لا ، وانما الآن أستطيع الرجوع الى أهلى ، فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : بعد لقائنا الأخير ، اتجرت بما حصلت عليه ، وأصبح الآن فى يدى ما أعود به الى جماعة الطوارق . فقلت : الى أولادك أم الى جماعة الطوارق ؟ قال : الى الطوارق أولا ، فهم آووا أولادى فى غيبتى ، وأنا سأكفل أولاد من أجده غائبا منهم ، وأقسم ما أعطى الله بين أولادى وأولاد جيرانى .)

فقلت : هل تعيش جماعتكم كلها كما تعيش أنت مع جيرانك ؟

قال : كلنا فى الخير والشر سواء ، والفضل لصاحب الفضل ، والواحد

من جماعتنا يستحيي أن يعـدوه الى النجع حاليا ، لا حياء من أهـل بيته ، بل حياء من جيرانه ، الذين ينتظرون عودته كأهل بيته سواء بسواء .
ليست جماعة الطوارق هذه أو أضرابها من أهل البادية ، وسكان القفر مختصة بهذه الروح الجماعية ، ولا هي من مستلزمات عصبيتها ، وانما هي الروح الاسلامية أكثر ظهورا في هؤلاء الذين لا يزالون بمعزل من الحياة الحديثة المادية . وقد وجدت هذه الروح في الدساكر والقـرى الاسلامية ، التي لا تزال مطبوعة بالطابع الاسلامي ، سواء أكان أهلها عربا أم عجما ، بيضا أم سودا ، في المشرق أم في المغرب . فقد رأيت جماعة المسلمين في كثير منها ، لا يزالون يحيون حياة الخير والتضامن ، والتكافل والتعاون على البر .

لا يزالون أقرب الى المجتمع الصالح ، كما أراده صاحب الدعوة من عشرات الملايين الذين فتنوا بالحضارة الغربية المادية ، فهم يعيشون لأنفسهم ولو انقرضت جماعتهم ، ويؤثرون شهواتهم على البر بأهلهم ، فضلا عن جيرانهم .)).

الحريـــة

يتحدث " الماركسيون " في دعايتهم في العالم العربي عن الحرية السياسية للفرد ، وعن الديمقراطية الشعبية ، ويربطونها بمسألة " رأس المال " ، اذ يدعون أن الحرية لا تتحقق الا بسيادة " المبادئ الماركسية " في المجتمع ، لأنها تؤمم رأس المال ، وتنقل ملكيته للدولة ، وبذلك تحرر العمال والأجراء - في الأراضي الزراعية - من سيطرة أصحاب رؤوس الأموال والاقطاعيين ، فيصبحوا أحرارا في الإدلاء بأصواتهم في الانتخابات العامة .

إذًا ، فالماركسية ترى أن أصحاب رؤوس الأموال ، والاقطاعيين ، هم وحدهم الذين يستعبدون الشعب ، فيسخروه ، ويجلدوه بالسياط وفي ذلك اهـدار لكرامته الانسانية ، ويجبروه بشتى أساليب القوة ، الى الادلاء بصوته لمن يريدون .

فهم الأعداء الحقيقيون للشعب .

أما الدولة في النظام " الماركسي " - حيث آلت الملكيات اليها - :
فهي الأب الحنون الأعلى للمجتمع ،
هي صاحبة العدالة الاجتماعية ،
وهي الراعية للكرامات والقيم الانسانية ،

وهى الضامنة ، والمتكفلة للجميع بحياة أفضل ، وحرية غير مقيدة .

ولكن واقع المجتمعات الشيوعية يخالف ذلك ، اذ عندما تحولت الملكية الخاصة الى ملكية عامة ، وأصبحت الدولة هى المالكة ، انتقلت صلاحية التصرف فى المال الى حفنة قليلة ، هم أعضاء اللجنة المركزية فى الحزب .

فكيف تصرفت هذه الحفنة فى مال الأمة ، التى اغتصبته من الأفراد ، ووضعته تحت يدها ؟

وضح الانحراف فى هذا التصرف وضوح الشمس ، فقد أُنفِقَ المال على " شلل المحاسيب " ، فى متعهم فى القصور والرحلات ، وفى الترف من كل لون ، وعلى الأفاقين والمنافقين ، وعلى أجهزة المخابرات ، لتصيد المعارضين للنظام ، وعلى القوات المسلحة لاتخاذها وسيلة للبطش بمن تسول له نفسه معارضة السلطة الحاكمة .

فأين هى - اذن - الحرية التى يدعيها الماركسيون ؟

نشر " النظام الماركسى " الرعب والخوف لدى الأفراد ، حتى أصبح الانسان لا يطمئن الى صديق أو أخ ؛ فأجهزة المخابرات - التى يصرف عليها من أموال الشعب - جندت الصديق للتجسس على صديقه ، والأخ على أخيه ، والابن على أبيه . يروى " ليونهارد " أن صديقة له ، جندتها المخابرات للتجسس على زملائها ، وروت له ذلك بعد أن أخذت منه العهد والميثاق بألا يبوح بهذا السر قائلة :

" أنا أعمل مع المخابرات العامة ، فمنذ بضعة أيام طلبونى ، وأجبرونى على التوقيع على ورقة مكتوب فيها أننى مستعدة أن أزودهم بالمعلومات ، التى يطلبونها ، وألا أقول لأحد شيئاً عن مهمتى .

والآن ! أنا مكلفة بكتابة تقارير بصفة مستمرة عن بعض طلبة معينين ، ولن أوقع على هذه التقارير باسمى الحقيقى ، بل باسم مستعار ، معروفة به عندهم فى مجال هذه المهمة .

- عن أى شئ تكتبين تقاريرك ؟ .. عن الكلام ضد الحزب ؟

- ليس هذا فقط ، فهذا قليل نسبيا ! ! بل مكلفة بالكتابة عن " كل شئ " يصدر من الأشخاص ، الذين سموهم لى ، سواء تتعلق بالسياسة مباشرة ، أو بطريق غير مباشر .

- - - - - - - - - - - -

- - - - - - -

نظرت فى عينيها ، فلاحظت أنها حزينة جدا ، حزينة لأنها لم تعد تستطيع التحدث معى بصراحة ، ذلك الحديث ، الذى كان يخفف عنها كثيرا من الآلام النفسية ، ولم يكن هذا هو السبب الوحيد فى حزنها ، بل بدأ أيضا - بصفة خاصة - أنها متضايقة نفسيا ، لأنها أجبرت على العمل مع المخابرات العامة ، وقد أحسست هذا بوضوح . ولكن عندما أفصحت لى عن كل ما فى نفسها ، علمت أنها لم يكن لها أن تختار طريقا آخر ؛ لو رفضت العمل مع المخابرات العامة ، لأثارت الشكوك حولها ، ولربما ترتب على رفضها القبض عليها . . . . ثم قررت - ابتداء من اليوم - أن أكون أشد حرصا من ذى قبل ، وأن ألتزم " الخط " التزاما دقيقا فى كل المحادثات واذا أمكن فلأحاول تغيير مجرى الحديث بعيدا عن الموضوعات السياسية ،وطرق المجالات ، التى لا تمس هذا الموضوع من قريب أو بعيد . "

هذه هى الحرية فى المجتمع الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ! ! !

* * * *

أما الاسلام فقد كفل حرية الانسان فى العقيدة :

" لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ".

وشرع حماية أرباب الملل الأخرى ، الذين يعيشون فى المجتمع الاسلامى ، وألزم المسلمين أن يقاتلوا الصيانة حرية العقيدة ، وقدسية أماكن العباده لمن دخلوا فى عهدهم وجوارهم من أهل الكتاب .

كما كفل الحرية السياسية ، والحرية الفكرية ، والحرية المدنية ، وخطا بها خطوات لا تزال الحضارة الحديثة متخلفة عنها .

ولا يزال التاريخ يحدثنا عن أمثلة كثيرة ، وقعت فى عهد الخلفاء الراشدين ، وحتى فى العهود التى تلت عصرهم ، بعد أن تحولت السلطة الى ملك عضوض ؛ فقد كان المسلمون فى أيام عمر بن عبد العزيز يناقشون فى حضرته استحقاق بنى أمية للملك والخلافة ،وكذلك روى أنه كان يجرى فى مجالس المأمون نقاش حول بيت الخلافة ، وأحقيته بها .

أمتدت جذور الحرية فى المجتمع الاسلامى ، فلم يضطهد أحد ، نظر فى الكون ، واستنبط نظرية من النظريات ، فكانت الحرية العلمية مكفولة لغير المسلمين

من صائبة ومجوس ونصارى ، ويهود ، يقولون ويكتبون ما يشاءون ، شأنهم فى ذلك شأن المسلمين . ولم تتدخل الدولة ، فتمنع مفكرا من ابداء رأيه الا خشية الفتنة على المجتمع ، أو كان تهديدا لأمن الدولة .

الوعد بغد أفضل

تجاهر أبواق الماركسية فى البلاد العربية ، بأن الشيوعية سوف تحقق رفع مستوى المعيشة ، اذا ما طبقت ، كنظام للحكم ، رغم أن التجربة أثبتت أنها لم تأت الا بزيادة فى الحرمان ، ونقص فى موارد الدولة ، ظهرت آثاره فى الخدمات العامة ، وعجز أجهزة الدولة الادارية والانتاجية ، وتوقف الطاقات البشرية ، فتوقف ركب الدولة عن مسايرة التقدم العلمى الحديث ، بل تقهقر الى الوراء ، والأدلة واضحة على ذلك ؛ اذ يكفى المرء أن يقيم أياما فى البلاد العربية ، التى حاولت تطبيق مبادئ " ماركس " ، فسوف يرى معالم المحاولة بادية على وجوه شعبها ؛ فقد اختفت الابتسامة ، وحل محلها الاكتئاب من شدة وطأة الفاقة والحرمان .

ومن الغريب أن " الماركسيين " يعللون فشل التجربة ، بأن القائمين على تنفيذها ، لم يكونوا على مستوى المسئولية ، وهذه خدعة أخرى ، يراد بها تضليل جماهير المسلمين مرة أخرى ؛ فالشيوعية لم تحقق " الغد الأفضل " ، الذى وعدت به جماهير العمال فى أى بلد فى العالم ، فها هو ذا الاتحاد السوفييتى " رائد الماركسية " ، لم يستطع تحقيق رفع مستوى العمال ، كما وعدت الدعاية الشيوعية ؛ اذ لا زال مستوى العامل السوفييتى أقل من مستوى زميله فى البلاد الرأسمالية ، بل ان حالة بعض العمال فى روسيا لا تختلف عن حالته فى عهود ما قبل الثورة البلشفية ، يصف " ليونهارد " جانبا من حياة البؤس هناك فيقول :

" هذه هى " كاراجندا " ، مدينة يسكنها ربع مليون نسمة ، مركز الصناعة الذى أقيم فى الخطة الخمسية الأولى ! ! محطة السكك الحديدية صغيرة ، مبنية بالخشب ، وقذرة . . . . . وعندما خرجت من المحطة ، رأيت شارعا ملتويا قذرا ، غير مرصوف ، ومنازل صغيرة آيلة للسقوط ، والجو رمادى قاتم ، مملوء بغبار الفحم ، ولا يستطيع المرء أن يتنفس تنفسا عاديا فى هذا الجو . سرت فى الشارع كالمضروب من هول المفاجأة ؛ فمما لا شك فيه أنى رأيت فى موسكو فقرا ، كذلك رأيت عددا من المدن الصناعية المتوسطة

أثناء اقامتى فى الاتحاد السوفييتى ، ولكنى لم أشاهد حتى اليوم مناظر مؤلمة مثل ما رأيت فى هذه المدينة ..... وبعد بضع دقائق من مغادرتى المحطة ، اكتشفت كهوفا تحت الأرض (تستخدم للوقاية من البرد) ، مغطاه بورق الكرتون ، أو الخشب ، وبعضها ، كان سقفها قشرة أرضية ، لا يتجاوز سمكها نصف متر تقريبا ، وأقيمت هذه السقوف على أعمدة . كان منظرا مرعبا ؟ ! !

وكلما رأيت مناطق أكثر فى هذه المدينة ، كلما ظهر لى عدم استطاعتى المقام بها ، فلا يوجد فيها معاهد عليا ، ولا معاهد صناعية ، وليس بها سوى كهوف تحت الأرض ، ومنازل من الخشب آيلة للسقوط ، وبعض المنازل المقبولة نسبيا ، انتشرت هنا وهناك ، وتتخذها الادارات مقرا لها . ولم يبدو لى واضحا - فى يوم من الأيام اطلاقا - الفرق الشاسع بين أكواخ المواطنين ، التى يخيم عليها البؤس والحرمان ، وبين هذه المبانى الحكومية الجميلة المبنية من الحجارة ، والتى تتكون من عدة طوابق ، وضوحه فى هذا اليوم ، ثم اكتشفت حافلة "اتوبيسا" جديدة ، سارت بى عبر أحياء ، هى تجسيم للفقر والتعاسة .))

ثم بعد أن يرى الحياة على الجانب الآخر ، حياة الترف والنعيم التى يعيشها قادة الحزب فى أحد فنادق الدولة يقول :

((..... وبدا التباين شاسعا بين الجو فى هذا الفندق ، وبين الأحياء القديمة فى " كارا جندا " والأكواخ المبنية بالطين للاقطاعيين المنفيين ، ولا يمكن لعقل تصور امكان وقوعه ، لو لم يره فى الاتحاد السوفييتى .))

لن يزول الفقر والجوع ، الذى تقاسيه الشعوب التى يحكمها النظام الماركسى ، الا بزوال هذا النظام ، لأنهما متلازمان ، فحيثما وجد الحكام الشيوعيون وجد معهم الحرمان ، وينبغى ألا نخدع بتحليل أبواق الدعاية " الماركسية " بأن ذلك ظرف طارئ سيزول ، أو أن الظروف الدولية كانت السبب .. أو ... أو ... ... أو ... الخ ، لأن حرمان جماهير الشعب من طبيعة النظام نفسه ، وليس من شئ خارج عنه ، يقول " ليونهارد " :

((حاولت الدعاية السوفييتية - ولا زالت - اقناع الشعب بأن فقره وجوعه - أثناء الحرب - نتيجة للنظام النازى ، الذى شن حربا على الاتحاد السوفييتى بينما الوضع بالعكس ، حسبما جاء فى بعض تحليلات الأسرى الألمانيين ، فقد نسبوا فقر هذا الشعب الى طبيعة النظام السوفييتى ، وهو موجود وسيظل ، ولو لم تشن حرب على هذه الدولة .))

ولاء الماركسيين

يدين " الماركسيون " فى العالم بالولاء التام للاتحاد السوفييتى - أو للصين - ، لأنه عنصر من عناصر دراستهم للماركسية ؛ ففى روسيا مدارس خاصة يتعلم فيها شباب من جميع أنحاء العالم مواد عامة وهى :

تاريخ الحزب الشيوعى الروسى

المادية التاريخية الجدلية

تاريخ الشيوعية العالمية

النظريات الاقتصادية

ومواد خاصة ،حيث ينفرد طلبة كل اقليم بدراستها :

تاريخ الحركات الوطنية فى بلادهم

المشكلات الاقليمية سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية . . .أو . . . أو . . الخ

هذا من الناحية النظرية ، ثم يشترك جميع الدارسين للتدريب على :
تشكيل الجمعيات السرية ، وأوجه نشاطها ، من طبع منشورات وتوزيعها ، حتى استعمال القوة المسلحة للاستيلاء على السلطة .

وبعد أن يتخرج الطالب ، يرسل الى بلده ، لينضم الى التنظيم الشيوعى السرى ، ولكنه - مثله فى ذلك مثل غيره ممن سبقوه على هذا الدرب - يظل دائما مرتبطا بالاتحاد السوفييتى ، فى جميع تصرفاته , يناصر سياسته ، ويبرر مواقعه الدولية ، ويتحرك طبقا لتعليمات موسكو . يقول شيوعى سابق معقبا على مناهج تلك المدرسة :

((وهكذا أنتج "الاتصال بين النظرى والعملى " هدفا مزدوجا ؛ ففى الناحية الأولى وجهنا لاستعمال معلوماتنا النظرية فى البلد ، الذى ستعمل فيه فيما بعد ، وفى الناحية الأخرى تحولنا بطريق الالزام - ليس فقط نتيجة لدراسة التاريخ السوفييتى ، بل أيضا نتيجة لمناقشة الأحداث الهامة فى الاتحاد السوفييتى - الى مداومة تتبع الأحداث فى الاتحاد السوفييتى ، والى تفسير موقف الاتحاد السوفييتى من الاحداث العالمية ، والدعوة له ، والدفاع عنه .))

ان الشيوعى لا يتحرك من بلده من تلقاء نفسه ، بل تحركه موسكو ، فهو قطعة شطرنج يحركها اللاعب ، وهو هنا زعماء الحزب فى موسكو - أو الصين - ، وقد صرح بهذا الوصف أحد زعماء الشيوعيين فى ألمانيا الشرقية لـ " ليونهارد " أثناء حوار ردار بينهما حول ربط ألمانيا الشرقية بعجلة الاتحاد السوفييتى ، وكان " ليونهارد " يرى أن العلاقة ، يجب أن تقوم على أساس المساواة بين

الدولتين ، لا على أساس تحكّم الاتحاد السوفييتي في مصير ألمانيا الشرقية ، واتخاذه موقف الآمر وألمانيا الشرقية موقف المنفذ دون اعتراض :

((.... فلنقف على أرض الحقيقة العارية ! ما معنى المساواة هنا ؟ أعرني انتباهك ! فالنضال الذى انتشر فى العالم ، هو بكل أبعاده لعبة شطرنج كبيرة .. وأشار بيده الى لوحة الشطرنج :

يوجد أبيض وأسود على هذه اللوحة ، ويواجه اللاعبان ،أحدهما الآخر بأشكال مختلفه من قطع الشطرنج ، تختلف فيه كل قطعة ، باختلاف شكلها ، وطريقة حركتها على اللوحة . ولكن تحريك هذه القطع لا يمكن أن يكون الا من المركز ، وهذا المركز هو موسكو فقط ...... يجب أن نقترب من الموضوع مجردين من أى اتجاه ..... هل لا حظت مرة شيئا خاصا فى سمات الاتحاد السوفييتى ، واتحاد الجمهوريات السوفييتية ؟))

لم أفهم بسرعة ، ما يريد بهذا السؤل ! (ثم استطرد الزعيم الشيوعى يقول) : لا يظهر مفهوم روسيا هذه السمات ، وليس هذا من باب المصادفة ، وبهذا مهد الطريق للبلاد ، التى تتحول فيما بعد الى الاشتراكية للانضمام لهذا الاتحاد .

هل تعتقد أننا - اذا وصلت البلاد الديمقراطية الشعبية ، وفيما بعد المنطقة الألمانية أيضا الى أسس الاشتراكية - نستطيع أن نعيش كدولة مستقلة ، لا ترتبط بالاتحاد السوفييتى .))

هذا هو هدف الماركسيين ، تسليم بلادهم - بعد الاستيلاء على السلطة - الى موسكو ، لتكون احدى الجمهوريات السوفييتية ، وليس هذا التصريح من ماركسي صغير ، بل من زعيم أصبح رئيسا لجمهورية ألمانيا الديمقراطية فيما بعد .

أيمكن بعد هذا أن ينخدع بالدعاية الماركسية انسان له عقل يفكر به ؟

* * *

يقف المجتمع الاسلامى اليوم - فى جميع أقاليمه - على مفترق الطرق ، يلتقط أنفاسه من هول الطريق ، الذى قطعه على مدى المائة سنة الماضية ، حيث تجاذبته تيارات أقضت مضاجعه ، فلم تترك له فرصة البناء والتعمير ، وأهلكت أعصابه ، فلم يعد يقوى على التفكير بموضوعية فيما يعرض عليه من " أيديولوجيات " ، ولم يستطع الاحتفاظ بما عنده من عقائد وعبادات ، فتهاون فيها وأهملها ، أو أوّلها فألغاها ، أو أدّاها عادة وتقليدا ، فصارت :

- ومصدرا للرزق والتكسب ، لا عقيدة يدافع عنها بالروح والمال ،
- ووسيلة يخدع الحكام شعوبهم بالتظاهر بها ، لا منارة يسير على هديها رجال السلطة ،
- وأسلوبا يختفي وراءه الدجالون ، والمنافقون ،
- ولباسا يرتديه " الماركسيون "[1] ليدنسوه ، كي يمزق الحكام ما بقي من خيوطه ، فتقتلع الجذور الباقية ، فلا يجرؤ أحد على الجهر بالدعوة الى الله .

يقف المجتمع الاسلامي اليوم مذهولا من كثرة الأصوات التي تناديه ، يحاول :

- تحديد المعالم فيعجز فكره ،
- وتمييز الأصوات فيكل سمعه ،
- ورؤية ملامح حاملي أعلام " الأيديولوجيات " فينقلب اليه بصره خاسئا وهو حسير . وفي لحظة يأس يبحث عن الداعين الى المبادئ ، التي جربها في الماضي ، فأسعدته وأعزته فيراهم ، ولكن نفسه تنفر من كثير منهم ، لأنهم :
- يتحدثون بلغة لا يفهمها ، وأسلوب لا يتفق وطبيعة العصر ،
- ويرفضون استعمال أساليب الاعلام الحديثة - كالمسرحيات والأفلام وغيرهما من أنواع الفن الأخرى[2] في الدعوة الى الله ، فتركوا هذا المجال - وهو مجال خصب ، بل انه احدى وسائل العصر الحديث الأساسية ، لتعميق العقائد في المجتمع - لأصحاب التيارات والمذاهب المناهضة للدين .

---

(١) دفع الماركسيون - ولا زالوا - ببعض أعوانهم المجهولة هويتهم الماركسية الى التظاهر بالاصلاح الديني ، فالتف حولهم بعض الشباب المخلص الساذج ، وسرعان ما استغلوا سذاجتهم وحميتهم الاسلامية ، فدفعوهم الى ارتكاب حماقات لا يقرها الاسلام ..... فانتكست الدعوة المرة تلو الأخرى وذلك أسلوب يتبعه الماركسيون للقضاء على خصومهم .

(٢) بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتمخضها عن انقسام العالم الى معسكرين متقابلين أحدهما شيوعي والآخر رأسمالي ، رأى المسئولون في المجتمع الغربي أن من أنجح الوسائل في صد التيار الشيوعي عن الشباب ، توجيه أهل الفن الى اخراج سلسلة من الأفلام الدينية ، التي توجه الشباب الى ناحية الدين - بطريق غير مباشر - فأخرج أهل الفن أفلاما دينية يضرب بها المثل في عالم الفن سواء من حيث الفكرة أو حيث الاخراج أو من حيث التكلفة ، وكانت الكنيسة تدعم هذا الاتجاه ، لأنها رأت فيها وسيلة عصرية ناجحة لتعميق الروح الدينية في المجتمع .

- لم يدرسوا المذاهب الالحادية المعاصرة للرد عليها ، فجاء حديثهم عنها - ان استطاعوا الحديث - مشفرا للشباب المثقف ، بل سلاحا في يد الداعين الى الالحاد .
- وأهملوا دراسة التيارات السياسية العالمية ، ومقتضيات العصر على الصعيد الدولى ، فأبعدوا عن ساحة اتخاذ القرارات ، التى تحدد مصير الأمة فاهتز مركزهم كمصدر للتوجيه فى المجتمع .
- يعيشون عيشة لا تليق بكرامة الداعية ، فاهمالهم فى ملبسهم ومسكنهم كان -ولا زال - سببا فى اتخاذهم أضحوكة فى المجالس والمنتديات ، وشخصية فكاهية لا ضحات المشاهدين فى الأفلام والتمثيليات .

وازاء هذه الظروف التى يمر بها المجتمع الاسلامى ، يجب على المعاهد التى تخرج الدعاة ، أن تعيد النظر فى اختيار دعاة المستقبل فتأخذ فى الاعتبار - بجانب الناحية الرحية - حسن المظهر ورتابة الملبس وبلوماسية السلوك وأن تعدل مناهجها ، فتدخل فيها من المواد :

- ما يهيء الداعية لمواجهة " الايديولوجيات " الحديثة ، ولن يكون ذلك الا بدراسة جوانبها الفلسفية والتطبيقية ،
- وما يجعله قادرا على شرح الاسلام بلغة العصر فى جميع المحافل ،سواء كانت دولية أو محلية .
- وأخيرا أن تكفل له مستوى ماديا يساعده على الظهور فى المجتمع بمظهر لائق .

والله الهادى الى سواء السبيل
ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا

د . محمد عبد الغنى شامة

أهم مراجع البحث

- أفيون الشعوب — الأستاذ / عباس العقاد
- ذاتية الاسلام أمام المذاهب والعقائد — " / محمد مبارك
- الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار — الأستاذ الدكتور/ محمد البهى الغربى
- تهافت الفكر المادى التاريخى — " " " "
- الرد الجميل للامام الغزالى — تحقيق " عبد العزيز عبد الحق حلمى
- الرسالة الخالدة — الاستاذ / عبد الرحمن عزام
- تجديد المذاهب الفلسفية والكلامية — الدكتور / محمد عاطف العراقى
- الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ل ((هنتر ميد)) — ترجمة الاستاذ / الدكتور فؤاد زكريا
- نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام — " " على سامى النشار
- الله فى الفلسفة الحديثة ل ((جيمس كولينز)) — ترجمة فؤاد كامل
- الله والكون — الدكتور/ محمد جمال الدين الفندى
- الاسلام قوة الغد العالمية ل ((باول شمتز)) — ترجمة الدكتور / محمد شامه
- حقائق عن نظام الحكم الشيوعى ل ((فولف جانج ليونهارد)) — ترجمة الدكتور/ محمد شامة
- بين الاسلام والمسيحية (كتاب أبى عبيدة الخزرجى) — تحقيق وتعليق الدكتور / محمد شامة

Mensching, Die Religion.

W. Leonhard Die Revalutionentlasst ihre Kinder

Mensching, Soziologie der Religion

Tiele: Einleiting in der Religionswissenschaft

Carsten calpe : handbuch der Religionsgeschichte